الأعلام من الأدباء والشعراء



أمرؤ القيس

الملك الضليل

إعداد

محمد رضا مروّة

ماجستير في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الأعلام من الأدباء والشعراء

أمرؤ القيس

الملك الضليل



إعداد

محمد رضا مروة
ماجستير في اللغة العربية وآدابها



يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمـدلله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على سيـد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تناول امرأ القيس بالدراسة أدباء وعلمـاء من التاريـخ القديم والحديث، وأفاضوا في تحليل شعره، ودراسة آثاره. وكانت هناك آراء مختلفة ومتضاربة، حتى ظنّ البعض وشكـك بصحة ما وصلنا من أدب جاهلي.

لكن دراستنا أخذت بعين الاعتبار أثراً أدبياً هو - ديوان امرىء القيس - وحاولت تبسيط الدراسة، وعدم الغـوص في خلافـات النقاد ووجهات نظرهم إلى التراث، الذي لا بد منه كي نستمر ونبقى، لأننا بدونه نكون كمن يمشي في المجهول، ويسـيـر إلـى الهاوية.

كانت الصعوبة في التبسيط لأن الآراء كثيرة، والاتجـاهات مختلفة ومتضاربة. لكن الذي سـاعدنـا، تلك المسؤولية تجـاه

الأجيال المتعطشة لمعرفة تراثها وتاريخها فحملنا أنفسنا وسرنا متسلحين بإيمان كبير بالعلم والبحث، للوصول إلى الحقيقة وآخذين سنداً آراء السابقين واللاحقين. وارتكزنا على دراسات أنارت لنا ما ظَلُم في طريق العلم. وسهلت عندنا الكثير من الصعاب. حتى وصلنا إلى أغراض وأهداف نتمنى أن تكون صائبة أو شبه صائبة. لأن الأعمال مهما بلغت لن ترقى إلى درجة الكمال، لأن الكمال لله وحده، ولا يشكل عملنا إلا نقطة في بداية سطر الحياة، وموجة من أمواج البحر الهادر. إذ يمكن أن يكون كنفس الإنسان التواق إلى الكشف والمعرفة، مع تحمل العناء والمعاناة للوصول الى السمو والرفعة.

ومهما حاولنا ـ في هذه الكلمات القليلة ـ فإننا نقصر عن كشف ما نريد. وندع القارىء الكريم، للولوج، للإبحار في طيات الدراسة، ليكتشف بنفسه روعة شعر الأسلاف، وجميل القول عند امرىء القيس.

النبطية ـ ١٧ ـ ٩ ـ ١٩٨٨

محمد رضا مروه

العصر الجاهلي

هو الحقبة الزمنية التي سبقت ظهور الإسلام. وسُمّي جاهلياً بسبب ما فشا فيه من الجهل وعبادة الأوثان. وجاءت تلك التسمية في القرآن الكريم «أفحكم الجاهلية يبغون». وكذلك وردت التسمية في سورة الأعراف «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين». ووردت كذلك في شعرهم، وفي معلقة عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ويحدد الباحثون تلك الحقبة بالزمن الذي تكاملت للغة العربية خصائصها العامة، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي. وهذا ما يحدده الجاحظ في كتاب الحيوان بقوله «أما الشعر العربي، فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة، . . فإذا استظهرنا

الشعر وجدنا له ـ إلى أن جاء الله بالإسلام ـ خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام.».

ويمكن تسمية الفترة الزمنية قبل هذا التحديد (١٥٠ ـ ٢٠٠) عاماً، بالجاهليةالأولى التي لم يصلنا من أخبارها سوى ما جاء في القرآن الكريم عن عـاد وثمود، وطسم وجديس وجرهم.

وينبغي أن نـدرك أن كلمة الجـاهلية التي أطلقت على هـذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب.

أمـا الجاهليـة الثـانيـة، فهي الفتـرة الـزمنيـة التي تمتـد من (١٥٠ ـ ٢٠٠) سنة قبل مجيء الإسلام. أي هي الفترة التي تقع بين السنة ٤٥٠ والسنة ٦١٠ م. وقد تركت لنا آداباً وأخباراً، يصح أن نثق بقسم غير قليل منها. أما مسرحها فكان القسم الشمالي من شبه جزيرة العرب.

ويختلف عرب الجاهلية الثانية عن عرب الجاهلية الأولى، لغة وديناً وأدباً وخلقاً. وكانوا أهل تمدن وحضارة. وأهم أقطارهم:

١ ـ الحجاز: وهو قطر فقير، مياهه قليلة، وأرضـه جدبـاء، وحـرارته شـديدة. من أشهـر مدنـه ـ مكة، ويثـرب (المـدينـة) والطائف.

٢ ـ نجد: ألطف المناطق، فيه واحات ومراع يجودها الغيث.

مناخه أفضل وأصح مناخات الجزيرة العربية. وطبيعته على قسط وافر من الجمال. ولقد تغنى الشعراء بهوائه ومناظره الخلابة، فكثر على ألسنتهم ذكر الصبا[1] والخزامى والعرار.[2] ويعتبر هذا الإقليم موطن معظم الشعراء الجاهليين.

٣ ـ تهامة: وهو قطر منخفض غائر، شديد الحرارة، وطبيعته قاسية.

ونجد إلى جانب هذه المناطق والأقطار عدداً من الصحارى الرملية ومن الحرات وهي صحارى رملية مترامية الأطراف تلين حيناً، وتصلب حيناً.

وظهر في هذا العصر إمارات أهمها:

١ ـ إمارة الغساسنة التي حالفت البيزنطيين.

٢ ـ إمارة المناذرة (أو الحيرة) في العراق وكانت موالية للفرس.

٣ ـ إمارة كندة: وكانت تدين بالولاء لملوك اليمن الحميريين.

ويقسم المجتمع الجاهلي إلى قسمين كبيرين:

١ ـ البدو: ومنهم القبائل الشمالية. التي تقسم بدورها إلى قسمين:

---

(١) الصبا: ريح شرقية تهب على نجد، لطيفة باردة.

(٢) الخزامى والعرار: نوعان من الزهور رائحتهما زكية.

أ ـ عدناني مضري.

ب ـ قحطاني يمني.

٢ ـ الحضر: من أهم حواضرهم ـ مكة ـ التي وصفها القرآن الكريم: بـواد غير ذي زرع. وهـي بلد التجارة والقوافل، ومن أهم المـراكـز الـدينيـة في الجـزيـرة الـعـربيـة. وأهـم قبائلها ـ قريش ـ أسياد الجزيرة. وقـد وصفهم ابن قتيبة بقـوله: «أهل مكة لم يؤدوا في الجاهلية إتـاوة قط، ودانت لهم خزاعـة وثقيف، وعـامر بن صعصعـة. وفرضوا على العرب قـاطبة أن يطرحوا أزواد الحِلّ إذا دخلوا الحرم. وهم بعـد أعزّ العـرب، يتأمرون عليهم قاطبة. كل ذاك يؤكد مكـانة قـريش، وزعامتهـا العـرب، فهي بيت تجارتهم، وبيت كعبتهم المقـدسـة». ومن المدن المهمة أيضاً ـ الطائف ـ جدة ـ ويثرب (المدينة).

أيام الجاهلية:

كانت حياة العـرب في الجاهليـة تقوم على الحـرب والقتال المستمر. حتى يتصور الباحث أن حياتهم كانت حروباً مستمرة. وكانت تلك الحروب ـ الأيام ـ تسمى غالباً بأسماء البقاع والآبار التي نشبت فيها. وهي كثيرة جداً ولكن أهمها:

١ ـ يوم خزار: بين ربيعة واليمن من مذحج.

٢ ـ حرب البسوس: بين قبيلتي بكر وتغلب. حدثت في أواخر

القرن الخامس الميلادي. وكان سببها اعتداء كليب سيد تغلب على ناقة للبسوس خالة جساس بن مرة سيد بني بكر. واستمرت كما يقال أربعين عاماً.

٣ ـ داحس والغبراء: كانت في أواخر العصر الجاهلي. وكان الرهان بين سيدي عبس وذبيان: قيس بن زهير، وحذيفة بن بدر على أفضلية السباق بين الفرسين داحس والغبراء.

وبقيت الحرب طويلاً إلى أن تدخل سيدان من ذبيان هما ـ هرمة بن سنان ـ والحارث بن عوف المرّي، فتحملا ديات القتلى.

الأحوال الاجتماعية:

كانت القبيلة في الجاهلية تتألف من طبقات ثلاث:

١ ـ أبناء القبيلة: الذين يرتبطون بالحسب والنسب وعلاقة الدم والقربى وهم عمادها وقوامها.

٢ ـ العبيد: وهم الرقيق الآتي من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة.

٣ ـ الموالي: وهم العتقاء، يدخل فيهم الخلعاء، ومنهم طائفة الصعاليك المشهورة.

وأول ما يتمثل في الحياة القبلية في العصر الجاهلي، التضامن الذي أحكم عراه، حرصهم على الشرف والمروءة،

والحلم والكرم والوفاء وحماية الجار وسعة الصدر، والعفو عند المقدرة.

والقبيلة هي الوحدة الاجتماعية ضمن النظام القبلي السائد. ولا مكان للفرد والتمرد فيه. إذ كان على الفرد أن يكون جزءاً لا يتجزأ من هذه القبيلة، لا رأي لـه، ولا يمكن أن يتطاول على التقاليد والعادات والأعراف، التي كانت أقوى من القوانين والدساتير حسب مفهوم العصر الحديث. والفرد بالنهاية وجد لخدمة المجموع ـ القبيلة ـ وهو نافع للكل، ينتصر لأبناء قومه مهما تكن حالهم:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
للنائبات على ما قال برهانا

وقيل في موضع آخر:

وما أنا إلاّ من غزية إن غوت
غويتُ، وإن ترشد غزية أرشد.

وكانت علاقة القبائل ببعضها، علاقة عداء، تغير الواحدة على الثانية فتغنم مالها، وتسبي نساءها، وتعود الأخرى فتتربص بها الدوائر وتنتظر الظروف لتغنم منها:

يغار علينا واترين فيُشتفى
بنا إن أصِبْنا أو نغير على وتْرِ[1]

(١) الواتر: القاتل. الموتور قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه.

قسمنـا بـذاك الـدهـر شـطرين بيننـا
فـمـا ينـقضـي إلاّ ونحـن عـلى شـطر

وكان للصراعات تأثير كبير على حياة العرب السياسية، إذ أنهم لم يأتلفوا تحت مبدأ سياسي موحد وتقسموا بين موالين بين الدول الكبرى التي كانت تقيم أمبراطوريـات حول الجـزيرة العـربية، فوالى الغساسنة الروم، والمناذرة الفرس. وكندة كانت تتحـالف حسب مصالحها. وبقيت قبائل البدو الرحل تدين لشيخ القبيلة بكل ما يصدره.

أضف إلى ذلك أن عرب الجزيرة عرفوا ديانات مختلفة، فكان منهم النصـارى في نجـران وبـلاد اليمن، وفي الشـام مـوطن الغساسنة، وفي الحيرة وبعض أجزاء الحجاز، أما اليهود فكانوا في اليمن ومدن خيبر ويثرب وتيماء. والوثنية كانت هي الطاغية في جزيرة العرب، وكانت تَعْبد الأصنام والأوثـان. والأوثان كـانت مصورة منها ـ مناة ـ والعزّى واللات. وكانت الكعبة مقدسة عند الوثنيين يحجون إليها في مواسم معينـة وفيها أصنـامهم ومنها: هبل: المصنوع من العقيق على صورة إنسان. وإلى جانب هذه الـديـانـات، كـانـت فـي بـلاد الـعـرب جـمـاعـة يسمون ـ الأحناف ـ الـذين يرجعـون إلى ملة ابراهيم الخليـل. وهي تقوم علي الإيمان بالله وباليوم الآخر والقضاء والقدر.

أمـا الصـابئـة، فهم عبـدة الكـواكب والنـجـوم، أهم

مدنهم ـ حرّان ـ وما بين النهرين. والدهرية هم القائلون: لا يهلكنا إلا الدهر.

بالرغم من هذا كله تفشت في المجتمع الجاهلي أمراض كثيرة منها: تفشي الخمر واستباحة النساء والميسر، وقانون الأخذ بالثأر التي ساد في ذلك المجتمع.

أما المرأة فإننا نلحظ نوعين من النساء عندهم:

١ ـ إماء: كنّ في منزلة دانية. ومنهن القينات في الحوانيت والخمارات. كما كان منهن جوار يخدمن الشريفات.

٢ ـ الحرة: كانت في منزلة رفيعة تقوم بطهي الطعام ونسج الثياب وإصلاح الخباء. وهناك الشريفات المخدومات، فإنه كان يقوم لها على هذه الأعمال بعض الجواري. وكانت منزلتهن سامية رفيعة.

وكانت النساء تخرج مع الرجال إلى الحرب. وكن ينشدن الأشعار والأناشيد الحماسية، لإثارة الحمية عند الرجال المقاتلين. والمرأة لم تكن مهملة كما يظن البعض بل كان لها قدرها عندهم. أما قضية الوأد التي نسمع عنها، فإنها كانت وحدثت عند بعض أجلاف القوم وقساتهم، الذين كانوا يخشون من الفقر والسبي إذ كان سباؤهن كثيراً في الجاهلية، وكانوا يعدون ذلك سُبَّة ما بعدها سبة.

أسواق العرب:

١ ـ سوق عكاظ: كانت أكبر أسواقهم، ولم تكن سوق تجارة فحسب، بل كانت سوقاً للخطابة والشعر وكانت أشبه بمؤتمر كبير للعرب فيه يجتمعون وينظرون في شؤونهم الحياتية. وإلى جانب عكاظ وبالقرب منه كان سوق ذي المجاز.

٢ ـ دومة الجندل.

٣ ـ سوق المربد في العراق.

بالإضافة إلى هذه الأسواق، كانت هناك أسواق ـ خيبر، وسوق الحيرة وسوق صُحار، وسوق المشقر، وسوق صنعاء وعدن ونجران. وكان لكل سوق من هذه الأسواق وقت معلوم تعقد فيه.

أما معارفهم فتتلخص ببعض العلوم القائمة على الملاحظة والتجربة ولم يستفد عرب الجاهلية من علوم الأمم والحضارات التي حالفوها. وكانت علومهم محدودة لم يخطوا فيها خطى واسعة في طريق الحضارة والتقدم، فقد كان عندهم علم بالزراعة وهندسة إرواء الأرض وإقامة المدن، ولم يكن عندهم ثقافة ذات معالم بينة.

وبالرغم من اتصال القبائل الشمالية بالحضارات الفارسية، والبيزنطية، واحتكاكهم بديانات مختلفة فإن ذلك كان يجري ضمن حدود ضيقة.

وكانت لهم معرفة بعلم النجوم ومطالعها، وأنوائها، وأمطارها يقول الجاحظ: «وعرفوا الأنـواء، ونجوم الاهتـداء لأن من كان بالصحاصح الأماليس[1]، حيث لا أمارة ولا هادي مع حاجته إلاّ بعد مشقة، مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤديه[2]، ولحاجته إلى الغيث، وفراره من الجدب، وضنه بالحياة، اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث، ولأنه في كل حال يرى السماء، وما يجري فيها من كواكب ويرى التعاقب بينها، والنجوم الثوابت فيها، وما يسير منها مجتمعاً وما يسير منها فارداً، وما يكون منها راجعاً ومستقيماً، وسئلت أعرابية فقيل لها: أتعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله أما أعرف أشباحاً وقوفاً كل ليلة». ويقول صاعد بن أحمد المتوفى سنة ٤٣٥ هـ «كان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغايبها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب في العلوم».

وبهذا القياس كانت معارفهم الطبية، فقد عرفوها بـالتجربـة مثل: الكي بالنار وفوائد بعض الأعشاب والنباتات. ويقول ابن خلدون في ذلك: «للبادية.. طب يبنونـه في غالب الأمـر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثـة عن مشايـخ الحي

---

(١) الصحاصح: الأرض المستوية. الأماليس: التي ليس بها ماء ولا شجر.

(٢) يؤديه: يعينه.

وعجائزه، وربما يصح منه البعض. إلاّ أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج. وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره». ومن أهم معارفهم الطبية معارفهم البيطرية، خاصة فيما اتصل بالخيل والإبل.

وهذه العلوم جميعها علوم أولية، تقوم على التجربة الناقصة، ولا تؤسس على قاعدة ولا على نظرية «فهم في جمهورهم بدو، ليسوا أصحاب علم ولا نظر عقلي مؤسس على أسلوب علمي».

وكل هذا يدل على أن التسبيب العقلي عندهم كان ضعيفاً، وأنهم كانوا لا يحسنون ربط المسببات بأسبابها ربطاً محكماً؛ وهذا طبيعي فقد كانوا في طور البداوة، ولم يفهموا الارتباط بين العلة والمعلول.

وأهم ما يلفت نظر الباحث في تلك الفترة - اللغة - وتطورها، الذي نراه في الشعر الجاهلي، وفي المعلقات خاصة. واعتمدوا في ذلك على الرواية. ونشأت عندهم طبقة من الرواة. وكانوا ينشدون شعرهم إنشاداً ومنهم من كان يعد قصيدته في حَوْل أو أقل، ويرددها في ذاكرته ثم ينشدها، ويحملها الناس عنه. وفي هذا يقول الجاحظ «وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام.. فما هو إلاّ أن يصرف (العربي) وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي يقصد، فتأتيه المعاني أرسالاً (أفواجاً) وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً، ثم لا يقيده على نفسه».

والشعر أنواع هي: القصصي، والتعليمي، والغنائي، والتمثيلي. والشعر الجاهلي أكثره من الشعر الغنائي الذي يصور نفسية الشاعر وعواطفه وأفراحه وأحزانه. وفيه المدح والهجاء والغزل والوصف والرثاء. وكل هذه الموضوعات تتصل بالغنائية وبنفسية الشاعر نفسه. وأول ما يلفت النظر على معاني الشعر الجاهلي، أنها معان واضحة بسيطة «ليس فيها تكلف ولا بعد ولا إغراق في الخيال سواء حين يتحدث عن أحاسيسه أو حين يصور ما حوله من الطبيعة، فهو لا يعرف الغلو ولا المغالاة، ولا المبالغة التي قد تخرج به عن الحدود المعتدلة».

من هنا كان شعرهم وثيقة لمن يريد أن يعرف حياة الجاهليين وبيئتهم. والملاحظ أيضاً أن القصيدة الطويلة عندهم لم تكن ترتبط بموضوع واحد، بل تجمع طائفة من الموضوعات والعواطف، لا تظهر بينها صلة ولا رابط. فهي مجموعة من الخواطر يجمع بينها الوزن والقافية. ومع هذا فإن الروح القصصية عندهم تبدو واضحة خاصة في بعض المعلقات وفي شعر جماعة الصعاليك.

حياة امرئ القيس

(؟ - ٥٦٥ م)

حامل لواء الشعراء، وأول من وقف، واستوقف، وبكى، واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ابن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع[١] بن معاوية بن كندة.

وقيل إن اسمه، حُنْدُج بن حُجر[٢]، وامرؤ القيس[٣]. وبهذا الاسم اشتهر، وعرفته الناس قديماً وحديثاً.

ويلقب بالملك الضليل، ويكنى أبا وَهب، وأبا زيد، وأبا الحارث وذا القروح[٤] وإياه عنى الفرزدق بقوله:

---

(١) مرتع بسكون الراء وكسر التاء. ذكره ابن ماكولا وابن الكلبي وقال: سُمّي بذلك لأنه كان يقال له: أرتعنا فيقول: أرتعتكم أرض كذا وكذا.

(٢) الحندج: الرملة الطيبة تنبت نباتاً طيباً.

(٣) امرؤ القيس: رجل الشدة.

(٤) أبو الحارث: كنية الأسد. وذو القروح: مأخوذ من قوله:

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة
لعلّ منايانا تحولن أبؤسا

وهب لي القصائد لي النوابغ إذ مضوا
وأبو يزيد وذو القروح وجرول[1]

وأمه هي فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب ومهلهل[2] ابني ربيعة التغلبيين. ولم يثبت المؤرخون والباحثون سنة مولده بدقة، ويظن أنها كانت حوالي سنة ٥٠٠ م بينما يقول لويس شيخو: «إنها كانت سنة ٥٢٠ للمسيح في نجد». وقيل « إنه ولد ببلاد بني أسد، وإنه كان ينزل المشقر من اليمامة» ويقال: «بل كان ينزل في حصن من البحرين» وقيل أيضاً إنه من أهل نجد، والديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد.

أما كندة قبيلته فهي من قبائل العرب القحطانيين، وإنها تنسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وثور هذا هو كندة. ويقال: إنه سُمّي كندة لإنه كند أباه، أي عقه.

ويجمع المؤرخون أن موطن كندة الأصلي كان في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة العرب، فهم من القبائل القحطانية التي

---

(١) ابو يزيد: هو المخبّل السعدي.
ذو القروح: امرؤ القيس.
جرول: الخطيئة.

(٢) قيل إن المهلهل خاله هو الذي لقنه فن الشعر حتى نبغ فيه، إلى أن تقدم على سائر شعراء عصره.

كانت تسكن اليمن في الأصل، ويقول ياقوت «إنّ كندة مخلاف باليمن هو باسم قبيلة كندة» وابن خلدون يقول: «إنّ موطن كندة الأصلي كان بجبال اليمن مما يلي حضرموت». ويقول الهمداني: «بلد كندة من أرض حضرموت». ويذكر من بلادها: هَيْنِنْ، وصوران، وعندل. ويقول إن امرأ القيس قال فيها:

كأني لم ألهو بدمُّون مرة
ولم أشهد الغارات يوماً بعندل

ويذكر اليعقوبي «أنه كان بين كندة وحضرموت حروب أفنت عامتهم، وبعدها لانت كندة وكرهت محاربة حضرموت، ودخل أهل اليمن التشتيت والتفريق، فلما افترق أهل اليمن، وانتشروا في البلاد، ملّكَ كل قوم عظيمهم، وصارت كندة إلى أرض معَدّ، فجاورتهم، ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم، يقال له: مرتع بن معاوية بن ثور».

فكندة كانت من القبائل اليمنية الأصل. وقد هاجرت مثل غيرها من اليمنيين الذين تركوا اليمن، واستوطنوا أماكن جديدة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية بين إخوانهم العرب العدنانيين. فأقاموا لهم مملكة في الشمال مدة من الزمن، وكان هناك في ذلك الوقت ملوك اليمن في القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، وقياصرة الروم في الشمال، والأكاسرة في بلاد الفرس. كما كان هناك من العرب مما يجاور بلاد الروم والفرس

مثل ملوك غسان وملوك اللخميين المناذرة في الحيرة. وحسب قول بلاشير «فإن ملوك كندة كانوا ينحَازون حسب مصالحهم، تارة إلى بيزنطة، وتارة إلى فارس».

ويذكر المؤرخون أنه وجدت في الجزيرة العربية آنذاك ثلاث ممالك: الغساسنة، والمناذرة، وكندة: «وتضاربت مصالحها وكانت بينها حروب طويلة وقد أدى التنافس في السيادة والسلطان بين هذه الإمارات العربية الثلاث الى وجود تنازع واختلاف، وتحاسد، مما أحدث بينهم كثيراً من التطاحن والقتال».

والثابت تاريخياً أنِ أهم ملوك كندة هو ـ حجر بن عمرو ـ الذي دام ملكه ثلاثاً وعشرين عاماً. وأتى بعده ابنه ـ عمرو بن حجر ـ وبعد عمرو ـ تولى ابنه الحارث وهو أشهر رجل في كندة. «إذ كان أشدهم بسالة وإقداماً، وقد وسع ملك كندة، وفرض سلطانه على بكر وعلى قبائل أخرى وتوصل إلى أن أصبح ملكاً على الحيرة.

وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي جعل الحارث بن عمرو الكندي يحكم عرش المناذرة؛ فقيل: «إنه لما اعتنق المزدكية ـ قُباذ ـ ملك الفرس، طلب ـ قُباذ ـ من المنذر بن ماء السماء اللخمي أن يدخل فيما دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته، فلما امتنع المنذر فدعا ـ قباذ ـ الحارث بن عمرو الكندي إلى ذلك، فأجابه، فاستعمله على الحيرة، وطرد المنذر من مملكته».

وعندما خلف ـ كسرى أنو شروان ـ قباذ ـ على ملك الفرس حارب المزدكية وأنصارها. وفي عهده انتهى حكم كندة للحيرة، ورجع الأمر إلى المناذرة.

ويقال إن حكم كندة انتقل بعد موت ـ الحارث ـ إلى أكبر أولاده ـ حجر وهو ابن أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية بن كندة وحجر هذا هو والد امرىء القيس الشاعر المشهور.

وانتهت دولة كندة من الوجود في القرن السادس الميلادي. وأهمية تلك الدولة تعود إلى أنها أول مملكة في الجزيرة العربية حاولت أن تجمع شمل العرب تحت زعامة مركزية واحدة، يتولاها سيد واحد.

وتذكر الروايات أن حجراً والد امرىء القيس، قد ساءت سيرته في بني أسد، فتنكروا له، وأزمعوا على قتله تخلصاً من ظلمه وبطشه، فقد ذكر ابن الكلبي أنّ حجراً لما «كان في بني أسد، وكانت له عليهم أتاوة في كل سنة مؤقتة، فعمر ذلك دهراً، ثم بعث اليهم جابيه الذي كان يجبيهم فمنعوه ذلك، وحجر يومئذٍ بتهامة، وضربوا رسله، وضرّجوهم ضرجاً شديداً قبيحاً، فبلغ ذلك حجراً، فسار اليهم بجندٍ من ربيعة، وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم وأخذ سراتهم، فجعل يقتلهم بالعصا فسمّوا عبيد العصا، وأباح الأموال، وصيرهم إلى تهامة، وآلى بالله أن لا يساكنوهم في بلد أبداً، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة

وفزارة الأسدي، وكان سيداً، وعبيد بن الأبرص الشاعر، فسارت بنو أسد ثلاثاً، ثم أنّ عبيد بن الأبرص قام فقال: أيها الملك اسمع مقالتي:

يا عين فابكي ما بني
أسد فهم أهلِ النّدامهْ
أهل القباب الحمر والنّعم
المؤبّل والمدامهْ[1]
حِلاًّ أبيت اللعن حلاًّ
إنّ فيما قلت آمهْ[2]
في كل وادٍ بين يثرب
فالقصور إلى اليمامهْ
تطريب عانٍ أو صياح
محرّقٍ أو صوت هامهْ[3]
إما تركت تركت عفواً
أو قتلت فلا ملامهْ
أنت المليك عليهمُ
وهمُ العبيدُ إلى القيامهْ[4]

(١) المؤبل: الكثير، والمقتنى.

(٢) الأمة: العيب.

(٣) الهامة: طائر يعتقد العرب أنه كان يخرج من جسد القتيل ويقول: اسقوني ويقال إنه البومة.

(٤) راجع ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٣٧ ـ ١٣٨. دار صادر ـ بيروت.

قال: فرقٌ لهم حجر حين سمع قوله، فأقبلوا حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة، تكهّن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة، فقال لبني أسد: يا عبادي، قالوا: لبيك ربنا قال: من الملك الأصهب، والغلّاب غير المغلّب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه يتشعّب، وهذا غداً أوّل من يسلب، قالوا: من هو يا ربّنا؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية، لأخبرتكم أنه حجر ضاحية. فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجر فهجموا على قبّته» وحاول حجابه منعهم وضيّعوا عليه «فأقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهلي، وكان حُجر قد قتل أباه، فطعنه من خللهم. فأصاب نساه فقتله، فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا معشر كنانة وقيس أنتم إخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منّا ومنكم، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم، فشدوا على هجائنه فمزقوها، ولفوه في ريطة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق».

وعندما قتل حجر كان ابنه امرأ القيس يلهو ويعيش عيشة اللامبالاة والطيش. ويقول اليعقوبي في ذلك: «إن خبر أبيه أتاه وهو ـ بدَمّون ـ من أرض اليمن، أتاه به رجل من بني عِجْل يقال له ـ عامر الأعور ـ أخو الوصّاف فلما أتاه بذلك قال:

تطاوَلَ الليلُ على دمّونْ
دمّونُ إنّا مَعْشر يمانونْ
وإننا لأهلها مُحبّونْ

ثم قال: «ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم، ولا سكر غداً اليوم خمر وغداً أمر» ثم قال:

خليليَّ لا في اليوم مصحًى لشارب
ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعاً، فلما صحا آلى ألاّ يأكل لحماً، ولا يشرب خمراً ولا يدّهن بدهن، ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك بثأره، فلما جنّه الليل رأى برقاً فقال [١]:

أرِقْتُ لِبَرْقٍ بِلَيْلٍ أهَلْ
يُضيءُ سَنَاهُ بأعلى الجبلْ [٢]
أتاني حديثٌ فكذّبْتُهُ
بأمرٍ تَزَعْزَعُ مِنْهُ القُلَلْ [٣]
بقتلِ بني أسَدٍ ربَّهُمْ
ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلْ [٤]
فأين ربيعةُ عنْ ربِّها
وأينَ تميمٌ وابن الخولْ [٥]

---

(١) ديوان امرىء القيس ط ١ ـ ص ١٤٠ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان، ١٩٨٣.

(٢) أهل: أبرق من خلل السحاب.

(٣) تزعزع منه القلل: تضطرب منه أعالي الجبال.

(٤) جلل: حقير تافه، وتستعمل للعظيم الجليل، ولكنه يحتقر هنا كل شيء بعد أبيه.

(٥) ربيعة وتميم: يريد قبائل ربيعة وقبائل مصر، وتميم من مضر، وكانت هذه

أَلاَ يَحْضُرُونَ لَدى بَابِه
كما يحْضرونَ إذا ما استهلْ(١)

وممّا قاله في تلك اللحظة الموحشة على نفسه، معاتباً من طرده من ديار الأهل والعشيرة:

أرِقتُ ولم يأرقْ لما بي نافعُ
وهاج لي الشوقَ الهمومُ الروادعُ(٢)

ونسدل الستار على المرحلة الأولى من حياة امرىء القيس حيث عاش فيها حياة اللهو والطيش والمجون، وكان عابثاً بالحياة لامبالياً بكل قيم الوجود. وكان في هذه الفترة يتجول في الآفاق «مع صعاليك وشذاذ من أحياء طيء وكلب، وبكر. ويتنقل بهم في منازل العرب، ويغير بهم على أحيائها، ويقاسمهم ما يحصل عليه، أو ما يقع لهم من الصيد. ويذهب بهم إلى الغدران، والرياض، يذبح لهم، ويؤاكلهم، ويعاقرهم الخمر وينشدهم الشعر، وتغنيهم القيان».

وبقي على هذه الحال إلى أن جاءته الصدمة، صدمة مقتل أبيه.

= القبائل من أعضاد كندة وأحلافها، الخول: الأتباع والأنصار.
(١) استهل: أخذ في بذل العطايا والمنح.
(٢) أرقت: سهدت.

فاستفاق من غفوة الطيش واللهو إلى حياة الجد والاستعداد، للأخذ بثأر والده.

تذكر الروايات أن امرأ القيس بعد علمه بمقتل أبيه، أخذ يعد العدة لقتال بني أسد الذين حاولوا بدورهم مفاوضة امرىء القيس، والصلح معه، وإنهاء ذلك الوضع الناتج عن حادثة مقتل أبيه بالطرق السلمية.

ويورد الخليل بن أحمد تلك الرواية ويقول: «قدم على امرىء القيس بن حجر بعد مقتل أبيه، رجال من قبائل بني أسد كهول وشبان، فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عبيد الأبرص، وقبيصة بن نعيم، وكان في بني أسد مقيماً، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور، ورداً وإصداراً، يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب. فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدم بإكرامهم والإفضال عليهم، واحتجب عنهم ثلاثاً، فسألوا من حضرهم من رجال كندة فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدة فقالوا: اللهم غفرا، إنما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف، ونستدرك به، فليبلّغ ذلك عنّا، فخرج إليهم في قباء وخفٍّ وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تعتمُّ بالسواد إلّا في التِّرات، فلما نظروا إليه قاموا له. وتكلم خطيبهم في أمر الصلح، فرفض امرؤ القيس، فخيروه عندئذٍ بين ثلاث يختار إحداها: إما أن يختار واحداً من أشرف بيوت بني أسد فيقتله في

أبيه، وإما أن يقبل الفداء من بني أسدٍ التي هي في ألوف تجاوز الحسبة، وإما أن يتفق معهم على هدنةٍ حتى تضع الحوامل، وتهيأ الجيوش والأسلحة للقتال، فرفض امرؤ القيس الأولين لأنه لا كفء لحجر في دم، وأنه لن يعتاض به ناقةً أو جملاً، فيكتسب بذلك سُبّة الأبد وفتّ العضد وقبل الثالثة قائلاً: وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ولن أكون لعطبها سبباً، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقاً، وفوق الأسنة علقاً».

إذا جالت الخيل في مأزقٍ
تصافح فيه المنايا النفوسا

وتقول الرواية: إنهم في النهاية نهضوا عنه، وقبيصة يقول متمثلاً:

لعلك ان تستوخم الورد إن غدت
كتائبنا في مأزق الموت تمطرا

فقال امرؤ القيس: «لا والله لا أستوخمه، فرويداً ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير».

ويذكر ابن الأنباري «أن امرأ القيس خرج إلى اليمن، ثم أقبل بجموع من اليمن وربيعة يريد بني أسد، فأغار عليهم، وقتل في

بطون بني أسد مقتلة عظيمة وأنه قال في ذلك قصيدته التي منها[1]:

قد قرت العينان من مالك
طُرّاً ومن عمرو ومن كاهل[2]
ومن بني غَنْم بن وُدان إذ
يُقْذف أعلاهم على السافل[3]
حتى تركناهم لدى مَعرك
أرجلهم كالخشب الشائل[4]

وبينما كان امرؤ القيس يعد العدة لمحاربة بني أسد، وجد نفسه في مواجهة خطر آخر بدأ يتحرك ضده، ذلك هو المنذر ملك الحيرة، عدو كندة اللدود، الذي كان الحارث الكندي قد احتل مكانه، وتربع على عرش الحيرة، وطرده من الملك لفترة من الزمن.

وهذا التحرك من قبل المنذر ملك الحيرة أثر سلباً على تحركات امرىء القيس. إذ أن القبائل التي كانت تفكر بمساعدته

(١) الديوان ص ١٤٣.
(٢) بنو مالك وبنو عمرو وبنو كاهل: من بطون بني أسد، ممن اشتركوا في قتل حجر الملك.
(٣) وبنو غنم بن دودان: كذلك من بني أسد.
(٤) الشائل: الخشب المرتفع، ويعني بقوله أنه تركهم صرعى في المعترك حتى كأن أرجلهم الخشب المرتفع.

قد أحجمت حينما رأت أن المعركة تعدت أطرها المفروضة ضد بني أسد ـ وأخذت أبعاداً واتجاهات لم يحسب لها امرؤ القيس حساباً. فكان لهذا العمل أثر خطير في نفوس القبائل التي كانت تمد يد المساعدة والعون لامرىء القيس، وكذلك على نفسية الشاعر نفسه، مما زعزع موقفه، وأضعف من شأنه.

وجهد في التنقل بين القبائل طالباً النجدة والعون والمساعدة، حتى وصل الى السموأل، وأقام عنده فترة من الزمن. ثم طلب منه أن يكتب للحارث بن أبي شمر الغساني بالشام، ليوصله إلى قيصر الروم. ونزل السموأل عند رغبة الملك الضليل، الذي يحاول بكل جهوده أن يدرك ضالته المنشودة وهي الانتقام من بني أسد، حتى لو أدى ذلك إلى التعامل مع دولة أجنبية تريد الإيقاع بالعرب، وتأمل أن يبقوا في صراعات وخلافات حتى تأمن حدودها.

وحصل ما أراده امرؤ القيس من السموأل، ومضى في طريقه حتى انتهى إلى قيصر.

وبينما هو في طريقه في مشواره الصعب والطويل إلى بلاد الروم اعتلت صحته، وهاجمه المرض، وهذا ما أشار إليه في شعره، وكان معه وقتذاك ـ جابر بن حني التغلبي[1]:

---

(١) الديوان ـ ص ١٦٣.

فـإمـا تـريـني فـي رحـالـة جـابـر
على حـرج كـالقـر تخفق أكفـاني (١)
فـيـا رب مـكـروب كـررت وراءه
وعـانٍ فككتُ الغـل منـه فـفـدّاني (٢)

ويتابع امرؤ القيس طريقه إلى قيصر الـروم برفقـة «عمرو بن قميئة» أحد بني قيس بن ثعلبة، وكان من خدم أبيه، فبكى ابن قميئة، وقال له غررت بنا. فأنشأ امرؤ القيس يقول:

بكى صـاحبي لمـا رأى الـدّرب دُونَـه
وأيـقـن أنّـا لاحـقـان بـقـيـصـرا (٣)

---

(١) الرحالة: يريد بها المحفة التي صنعها له جابر بن حني التغلبي حين أصابه المرض وكان جابر هذا وعمرو بن قميئة يحملانه فيها. الحرج: سرير كالنعش والقر: مركب للنساء. تخفق: تضطرب. أكفاني: يريد بها ثيابه التي قدر أن يدفن بها.

(٢) المكروب: يريد به هنا من أحاط به الكرب وهو في ساحة الحرب. كررت وراءه: رجعت إليه ووقعت عنه حتى أنقذته. وعان: أسير. فككت: نزعت. الغل: الحبل الذي في عنقه. ففداني: فقال لي: فداك أبي وأمي.

(٣) لما قصد امرؤ القيس أرض الروم مستنجداً القيصر على بني أسد ورد ملك أبيه إليه صحب معه عمرو بن قميئة، وكان من أقدم شعراء بكر ومن أفواههم عارضة، وشعره جيد حسن، قال وهو مع امرىء القيس، وقد بكت ابنته فبكى لبكائها:

سـألـتـنـي بـنـت عـمـرو عـن الأر
ضـيـن إذا تـنـكـر اعـلامـهـا

فـقـلتُ لــه لا تبـكِ عَـيْنُـكَ إنمـا
نحــاول مُلْكــاً أو نمــوتَ فنعــذرا[1]
وإنِّــي زعيــمٌ إن رَجعْــتُ مُمــلَّكــاً
بسَيْـر تَــرى منــه الغـرانق أزورا[2]
عــلى لاحب لا يُــهْـتَـدى بمـنـاره
إذا سافـه العَـود النُّباطي جـرجـرا[3]

وتؤكد الروايات أن امرأ القيس لما بلغ بلاد الروم انتهى الى قيصر فرحب به «وقبله، وأكرمه، وكانت له عنده منزلة» وأصبح مقرباً منـه إلى درجة الخاصة من ندمائه، ومواصلاً لابنتـه، «فانـدس رجل من بني أسد يقال له ـ الطّماح ـ وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً

= لـمــا رأت ســاتيــد مــا اسـتـعـبـرت
لله در الـيــوم مــن لامـهــا
تــذكـرت ارضـاً بــهــا أهـلهـا
أخــوالــهــا فــيــهــا وأعــمــامــهــا

فقال امرؤ القيس: «بكى صاحبي....» ومات عمرو في هذه الرحلة فقيل له: عمرو الضائع. والدربِ: المدخل إلى أرض الروم.

(١) يقول: نحن نطلب الملك فإن بلغنا أربنا منه وإلاّ ألححنا في الطلب حتى نموت دونه، وفي هذا أشرف العذر لنا.

(٢) زعيم: كفيل. إن رجعت مملكاً: إن عاد لي ملكي بعد هذه الرحلة. الغرانق: الأسد. أزور: مائل العنق.

(٣) اللاحب: الطريق الواضح. لا يهتدى بمناره: ليس له إشارة تهديه في سيره. سافه: شمه. العود النباطي: الجمل المسن الضخم. جرجر: رغا وضج.

له من بني أسد. حتى أتى بلاد الروم مستخفياً. ثم إن قيصر ضم إليه جيشاً كثيفاً. ومنهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قومٌ غدر ولا تأمنْ أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه».

وأوقع الحساد بين الشاعر والملك، ومما قيل له: «إنّ امرأ القيس غَوِيّ عاهر، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها وهو قائل في ذلك أشعاراً يُشهرها بها في العرب، فيفضحها ويفضحك».

ففكر القيصر عندئذ بالأمر، وأرسل للشاعر «بحلة وَشْي مسمومة منسوجة بالذهب»، وقال له: «إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليُمْن والبركة، واكتب إليّ بخبرك من منزل إلى منزل». ولما وصلت إليه لبسها، فأسرع السم في جسمه، ودخل مسام جلده، وأيقن أن الموت آت، والهلاك قريب. فقال في ذلك(*).

تأوبني دائي القديم فَغَلّسا
أحاذر أنْ يَرْتدَّ دائي فأنكسا[1]

(*) الديوان - ص ٨٦ - ٨٧.

(١) عند بعض الرواة أن هذا البيت هو أول القصيدة. تأوبني: أتاني مع الليل في وقت الغلس. أحاذر: أخشى من نكس الداء ومعاودته.

فـإمـا تَـرَيْـني لا أغـمضُ سـاعـةً
من الليـل إلاّ أن أكـب فـانـعسـا[1]
فـلو أنـهـا نفسٌ تـمـوت جـمـيـعـةً
ولـكـنـهـا نـفس تـسـاقطُ أنـفـسـا[2]
وبُـدِّلْتُ قـرحـاً دامـيـاً بـعـد صحـةٍ
فيـا لـك من نُعمى تحـولن أبؤسـا[3]
لقـد طمـح الـطمّاح من بُعـد أرضـه
لـيُلبسـني مـن دائـه مـا تـلبسـا[4]

واحتُضر في بلاد الروم ببلد اسمها ـ أنقرة ـ فقال قبيل وفاته :

رُبَّ خـطـبـةٍ مـسـحـنـفـرة
وطـعـنـةٍ مـثـعـنـجـرة[5]

---

(١) أكب : يأخذني شبه نوم فيحني رأسي فأنعس .

(٢) فلو أنها نفس : يريد نفسه . تموت جميعة : يعني مرة واحدة .

(٣) وبدلت قرحاً : يزعم الرواة أن ملك الروم أهدى إليه حلة مسمومة ، فلما لبسها سرى السم في جسمه فقرحه . والظاهر أنـه أصيب بمرض يشبـه الجدري ، فصنع به ما صنع . وقد أصابه المرض بطريق العدوى من الطماح الذي كان قد أصيب به .

(٤) الطماح : رجل من بني أسد بعثه قومه إلى قيصر ملك الروم في أثر امرىء القيس ليحول بينه وبين قصده بطريق المكر والخداع والمخاتلة ، ووشى به عند القيصر وزعموا أنه مكر به حتى سم .

(٥) المسحنفرة : فيها انطلاق وسعة . المثعنجرة التي يتصبب منها الدم ويسيل .

وجفنة متحيرة
حلّت بأرض أنقرة[1]

ويقال إنه رأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له ـ عسيب ـ فسأل عنها، فأخبر بقصتها، فقال[*]:

أجارتنا إنّ الخطوبَ تنوبُ
وإني مقيمٌ ما أقام عسيب[2]
أجارتنا إنا غريبان هَهُنا
وكل غَريبٍ للقريب نسيبُ[3]
فإن تَصلينَا فالقرابةُ بَيْنَنَا
وإنْ تصْرمينا فالقريب غَريبُ[4]
أجارتنا ما فات لَيْسَ يؤوب
وما هو آت في الزّمان قريبُ[5]

---

(١) المتحيّرة: المملؤة طعاماً ودسماً.

(*) راجع شرح المعلقات العشر ـ دار مكتبة الهلال ـ بيروت ـ قدم لهوشرحه د. مفيد قميحة ـ ص ٤٩ ـ ط١ ـ ١٩٨٧.

(٢) عسيب: اسم جبل قريب من أنقرة.

(٣) يعني أن الغريب نسيب الغريب، لأن الغربة تجمع بينهما كما يجمع النسب بين المتباعدين في القرابة.

(٤) روى ابن دريد في شرح هذا البيت هكذا:

فإن تصليني فالمودة بيننا
وإن تبعديني فالمزار عصيب

(٥) ليس يؤوب: لن يعود.

وليس غريباً من تناءتْ ديارُهُ
ولكنّ مَنْ وارى الترابُ غريبُ(1)

وكانت وفاته سنة ٥٦٥ م على الأرجح .

---

(١) تناءت : تباعدت ، ولكن من يموت ويدفن تحت التراب هو الغريب .

السيرة الأدبية

ديوانه وآراء النقاد والدارسين فيه

نال ديوان امرىء القيس القسط الوافر، والاهتمام الزائد من الروايات والجمع، والشروح، والنشر، والطبعات، فرواه كثير من الرواة، منهم: الأصمعي، وأبو عبيدة، وأبو عمر الشيباني، والمفضل الضبي، ومحمد بن حبيب وصنفه كثير، منهم: الأعلم الشنتمري، والوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي، وأبوسعيد السكري، وابن النحاس. وقد أحصى رواياته الدكتور ناصر الدين الأسد، فوجدها ست عشرة رواية. وكتب بحثاً مهماً عنها وعن أصولها، وعن النسخ المختلفة التي صنعت لهذا الديوان.

وقد نشرت معلقة امرىء القيس ضمن النشرات الكثيرة التي صدرت للمعلقات.

وكانت الطبعة الأولى لديوانه ما خلا المعلقة في باريس سنة ١٩٣٧. وطبع في مصر مع شرح البطليوسي سنة ١٨٦٥ م. ونشره في لندن المستشرق البريطاني ـ أهلوارد عام ١٨٧٠ م في

كتاب «العقد الثمين في دواوين الستة الجاهليين».

وفي سنة ١٨٩٠ ظهر الجزء الأول من كتاب «شعراء النصرانية» للأب لويس شيخو، الذي أثبت في أوله شعر امرىء القيس.

وأول من نشره مرتباً على حروف المعجم الأستاذ حسن السندوبي بمصر سنة ١٩٣٠.

وفي عام ١٩٥٨ م قام بنشره الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم، الذي عني بتحقيق روايات شعره، حيث أنه استعان بكل نسخ الديوان المخطوطة وهي ست نسخ: للأعلم، والطوسي، والسكري، والبطليوسي، وابن النحاس، وأبي سهل. واعتبرت هذه الدراسة للأستاذ ابراهيم من أهم الدراسات العلمية لديوان امرىء القيس.

وقد احتوى هذا الديوان على مائة قصيدة ومقطوعة.

وهنا لا بد من سوق بعض الأدلة لنقاد سابقين لنرى أهمية ومكانة امرىء القيس، ومكانته بين أترابه الجاهليين.

من الثابت أن امرأ القيس كان ميالاً بطبيعته إلى الشعر، فأحبه وقرأ منه الكثير، وكان راوية ـ أبي دؤاد الإيادي ـ ولما اكتمل نموه الأدبي فاضت عواطفه بالشعر. ويبدو أنه أحس من نفسه قوة في هذا الميدان فكان «شديد الظنة في شعره، كثير المنازعة لأهله، مُدلاً فيه بنفسه، واثقاً بقدرته».

قال الأصمعي : «قال أبو عمرو بن العلاء : كان امرؤ القيس مِعَنّاً[1] ضليلاً ينازع كل من ادعى الشعر» .

وكان أبو عبيدة يقول : «افتتح الشعر بامرىء القيس ، وختم بابن هرمة» وقال الجمحي : «فارس اليمن في بني زبير عمرو بن معد يكرب ، وشاعرها امرؤ القيس» .

وجاء على لسان ابن رشيق قوله : «والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم وسار شعرهم ، وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم ، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له ، وقلّ ما يجتمع على واحد ، إلاّ ما روي عن النبي ﷺ في امرىء القيس أنه أشعر الشعراء ، وقائدهم إلى النار ، يعني شعراء الجاهلية والمشركين» .

وفضله الإمام علي رضي الله عنه بأن قال : «رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة» .

وجاء على لسان الأصمعي في ـ الموشح ـ : «طريق الشعر هو طريق الفحول مثل امرىء القيس ، وزهير ، والنابغة» .

أما ابن سلام فإنه يقول في ـ طبقات الشعراء ـ : «أخبرني أبان بن عثمان البجلي ، قال : مرّ لبيد بالكوفة في بني نهد ، فأتبعوه رسولاً يسأله : من أشعر الناس؟ قال : الملك الضليل[2]» .

---

(١) المِعَنّ : من يدخل فيما لا يعنيه .

(٢) الملك الضليل : يعني امرأ القيس .

وقال ابن سلام كذلك: «أخبرني شعيب بن صخر بن هارون بن ابراهيم قال: سمعت قائلاً يقول للفرزدق: من أشعر الناس يا أبا فراس؟

قال: ذو القروح، يعني امرأ القيس».

وقيل لكثير: «من أشعر الناس؟ فقال: امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا شرب».

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن سلمة يسأله من أشعر الشعراء في الجاهلية، وأشعر شعراء وقته، فقال: «أشعر شعراء الجاهلية امروء القيس، وأضربهم مثلاً طرفة، وأما أشعر شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم، وجرير أهجاهم، والأخطل أوصفهم».

وقال ابن سلام: «أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر».

ويقول ابن رشيق: «قول امرىء القيس «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» هو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر، لأنه وقف، واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب، والمنزل، في مصراع واحد».

هذا غيض من فيض ممّا وصلنا من آراء النقاد والباحثين القدامى في شعر امرىء القيس، الذي سنّ السنن، ووضع القوانين للقصيدة الجاهلية. إلاّ أنّ الدكتور طه حسين يرى أن أكثر

الشعر منسوب إلى امرىء القيس وليس له أصل خاصة ذلك والذي يتصل بسيرته إنما هو من عمل القصاص. . . وأنه - أي الشعر - مختلق وليس لامرىء القيس أصلاً. أما الشعر الذي لا، يفسر سيرته ولا يتصل بها، فيرى أن أحق هذا الشعر بالعناية قصيدتان اثنتان فقط:

الأولى: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل.

الثانية: ألا أنعم صباحاً أيها الطلل الباكي.

ويقول إن ما عدا هاتين القصيدتين فيه الضعف ظاهر، «والاضطراب فيه بيّن، والتكلف والإسفاف يكادان يلمسان باليد».

وواضح من هذا الكلام أن الدكتور طه حسين يهمل الرواة إهمالاً تاماً، ولا يأخذ برأيهم ولا بشهادتهم حتى ولو كان الراوي معروفاً بالأمانة والصدق مثل الأصمعي والمفضل.

وبعد هذا يبقى امرؤ القيس علماً من أعلام الشعر العربي، وذخراً هاماً من ذخائرنا الأدبية. وما العواصف النقدية الكثيرة التي أثيرت حول شعره إلّا لأهمية الشاعر ذاته وأهمية شعره نفسه.

السيرة الشخصية

بعد هذا نستطيع أن نرصد ملامح مرحلتين مهمتين في حياة امرىء القيس. ولكل منهما منطلقات واتجاهات تختلف عن الثانية وهذا الاختلاف بين المرحلتين أو ـ التجربتين ـ النفيستين حددتا مسار شعره، وتطوره وأساليب القول عنده، والموضوعات التي فرضت عليه في بعض الأحيان، أو التي جاءته نتيجة صدمة نفسية هزته في الصميم وحملته إلى تغيير مجرى حياته وسلوكه وعلاقاته. هذه الصدمة أعادت للشاعر الوعي الاجتماعي بالمسؤولية التي فقدها، إثر بُعده عن عشيرته مجبراً.

والمعروف تاريخياً أن امرأ القيس، نشأ وترعرع وعاش بعيداً عن والده إذ أن أباه «كان قد طرده لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع، وكان لها عاشقاً. وقيل إنه طرد لأنه تغزل بامرأة من نساء أبيه».

ويذكر الأصمعي: «كان امرؤ القيس رأى من أبيه جفاء، فلحق

بعمه حتى قتل أبوه وعمه، فانصرف بعد قتلهما إلى قومه» فهذه الرواية تذكر أن السبب كان حدوث جفاء بينه وبين أبيه، ولكنها لم تذكر سبب هذا الجفاء.

وقد يكون مما يفسر لنا سبب هذا الجفاء ما يرويه أبو نصر أحمد بن حاتم إذ يقول: «أخبرنا الأصمعي أنه قال: بينا امرؤ القيس قاعد ذات يوم، وهو يشرب مع أبيه وهو غلام حين احتلم، وأبوه يشرب مع ندمائه وفتية من أهل بيته إذ مرّ عليهم الساقي بالكأس، فقال امرؤ القيس:

أسْقيا حُجْراً على عِلاّته
من كُميت لونُها لونُ العَلَق

فسمعه أبوه، فقال للساقي: الطم وجهه، وأخرجه عني، وقال له: إياك أن أسمعك تقول شعراً فأقتلك! وكان حجر يرفع نفسه عن الشعر وولده، فغبر امرؤ القيس بذلك زماناً، فكان لا يقول الشعر إلاّ سراً مخافة من أبيه. قال: فبينا أبوه ذات يوم نائم في قُبته وقد شرب حتى طابت نفسه، إذ انتبه وامرؤ القيس يشرب من فضل آنية أبيه وهو يقول:

وهِرٌّ تَصِيد قلوبَ الرجالِ
وأفلتَ منها ابنُ عمرٍو حُجُر

فوثب إليه أبوه، فجعل يَجَأ في عنقه حتى أدمى منخريه، ثم طفق يلطمه ويقول: ألم أنهك عن أن تقول شعراً، وعن أن

تذكرني في شعرك، ثم دعا مولى له يقال ربيعة، وكان حاجبه، فقال له: انطلق بهذا إلى موضع كذا وكذا فاقتله، فإني لا أظنه إلا سيشتمنا».

والملاحظ أن امرأ القيس في هذه الفترة كان ميالاً إلى اللهو والمتعة، مغرماً بشهواته الخاصة ولذاته، فاستغرق في المجون، ولم يهتم بعظائم الأمور وجلائل الأعمال، وربما لمس أبوه ذلك فيه، فلم يعجبه سلوكه، ولم يكن راضياً عن أعماله وأخلاقه، فحدثت بينهما تلك الجفوة التي تتحدث عنها الأخبار والروايات.

أما المرحلة الثانية من حياته فإننا نستطيع أن نؤرخ لها ابتداء من موت أبيه حين قال: «ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صَحْوَ اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر».

والملاحظ أن امرأ القيس لم يعبأ بخبر موت أبيه، حتى انتهى من لعبه وشربه، وأنه في تلك اللحظة قد أنحى بما يشبه اللائمة على أبيه؛ إذ ضيعه صغيراً، وأهمل رعايته وتربيته، ثم ألقى بالعبء عليه دون أن يستعد ويتهيأ له. وتبرز الحمية العربية في نفسه، فيقسم على ترك اللهو والمتعة، حتى يقتص لأبيه، ويأخذ بثأره من قتلته من بني أسد.

وحينما ننظر إلى حياة امرىء القيس، نجد أن الفترة الأولى من حياته تمثل حياة الشباب وما فيها من ترف الملوك، وفراغ ولهو، وعدم مسؤولية؛ إنه يعيش حياة منطلقة، لا مشاكل ولا هموم لديه،

ولا واجب يتحتم عليه أن يؤديه. فكانت هذه الفترة لنفسه وذاته وغرائزه لعب ولهو ومرح وعبث، وجري وراء المتع واللذات، يضرب في الأرض على غير هدى، وينزل في الأرض لغير هدف. إلاّ أن يُرضي نزوات الشباب ويملأ فراغه بكل ما يستطيع من ألوان المتعة واللهو، ولو إلى حد الخلاعة والمجون، في هذا الجو العابق بالنشوة واللهو كان امرؤ القيس كثير التنقل بين المنازل والديار، مصوراً مغامراته مع النساء والعشيقات، ومع الظباء والغزلان.

أما القسم الثاني من حياته فإنه يصور تنقله بين مختلف الأحياء والقبائل والأوطان، والأمراء والملوك، لا للهو والمتعة كما كان في الفترة الأولى من حياته. ولكن رغبة في تحقيق آمال عريضة، وهي الأخذ بالثأر واسترجاع ملكه.

إنه يمثل في هذا الموقع الإنسان المسؤول، الطامح إلى المجد والسؤدد، إلى العلاء والرفعة. وهنا تتجلى له الحياة بكل حقائقها، وتكشف له عن وجه جديد، فيه الكثير من أحوال النفس البشرية، المليئة بالمتناقضات، وهذا ما يتجلى في شعره في هذه الفترة حيث الرضا والسخط والحسرة والألم، فهذا الشعر خليط من المدح والذم، والتهديد ومحاولة التعالي على الجراح، مع ذكريات الماضي، وواقع الحاضر، وخبرة المجرب. وبقي شاعرنا على هذه الحال حتى قرّح القيصر جسده وأغمض عينيه ومات عام ٥٦٥ م.

أغراضه الشعرية

جاءت قصائد امرىء القيس، صورة صادقة عن بيئته وواقعه، ومراحل حياته، التي رأينا في بدايتها اللهو والمجون، وفي نهايتها الجد والعمل، وتعددت الموضوعات الشعرية عنده من غزل ومديح، وهجاء، وتصوير للطبيعة، وللذات الإنسانية. حتى أننا نقع على موضوعات شتى في القصيدة الواحدة: وهذه صفة من صفات الشعر الجاهلي، الذي رسم خطوطه، ووضع قوانينه امرؤ القيس حسب رأي النقاد والباحثين.

١ ـ الغزل(*):

وقد استعمل الباحثون والدارسون في مثل هذا الموقع «الغزل والنسيب أو التشبيب». وحاول بعض النقاد أن يفرقوا بين هذه الاصطلاحات، فمثلاً يقول قدامة بن جعفر عن الغزل: «هو

(*) الغزل، أو النسيب، أو التشبيب: هي مترادفات تدل كل منها على ما تدل عليه الأخرى. فهي تطلق على كل حديث يتصل بجمال المرأة ويثير ذكرياتها.

التصابي والاستهتار بمودات النساء، ويقال في الإنسان إنه غَزِل إذ كـان متشكلاً بـالصورة التي تليق بـالنساء، وتجـانس موافقتهن لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه».

ويقول عن النسيب: «هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وقد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة، والبروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفـة، وآثار الديار الباقية، وأشخاص الأطلال الداثرة».

والحقيقة أن هذه المترادفات تطلق على كل ما يتصل بالمرأة وجمالها، ويثير ذكرياتها وأيامها. وقد تحدث شاعرنا عن هذا في مواضع كثيرة، وصور مفاتن النساء، وأسرار جمالهن، وتحدث كذلك عن غرامه بالكثيرات ومغامراته معهن.

ويبدو أن أمرأ القيس كان يستهويه الجمال، ويملك عليه قلبه وأحاسيسه، أينما كان، وأنى حلّ. فأعجب بكل جميلة، وثار قلبه لكل مليحة، وهام بكل امـرأة صبوح. فكـانت حبيباتـه كثيرات منهن: أم الحويرث، وأم الرباب، وعنيزة، وفاطمة، وسلمى، وسليمى، وبسباسة، وأم جندب، وأسماء وابنـة عفزر، وهـر، وسلامة، وقـدور، ورقاش، وسعاد، وهند، والرباب، وفـرتني، ولميس *

(*) وردت أسماء حبيباته تلك في قصائده المثبتة في ديوانه.

ويظهر هذا أن امرأ القيس قد أنشد في المرأة الشعر الجميل، حتى احتلت عنده المكان الظاهر، وقلما تخلو قصيدة من ذكرها.

مهَفْهَفَةٌ بيضاء غيرُ مُفاضَة
تَرائبُها مَصْقولةٌ كالسّجنجل[(١)]

تصُدُّ وتُبدي عن أسيل وتتقي
بناظرة من وحش وجْرَة مطْفل[(٢)]

وجيدٍ كجيد الرّئم ليس بفاحش
إذا هي نَصّتْه ولا بمعطّل[(٣)]

كبِكْر مُقَاناةِ البياض بصُفرة
غَذاها نَميرُ الماء غَيْر المحلَّل[(٤)]

---

(١) مهفهفة: خفيفة اللحم ليست برهلة ولا ضخمة البطن. المفاضة: المسترخية البطن. الترائب: موضع القلادة من الصدر. مصقولة: مجلوة. كالسجنجل: كالمرآة الصافية.

(٢) تصدّ: تعرض. وتبدي عن خد أسيل: ليس بكز. وجرة: موضع. مطفل: ذات أطفال.

(٣) الجيد: العنق. الرئم: الظبي الأبيض الخالص البياض. ليس بفاحش: غير كريه المنظر. نصته: رفعته. المعطل: الذي لا حلى عليه.

(٤) كبكر: كبيضة النعامة أول ما تبيض. المقاناة: التي خالط بياضها حمرة وصفرة. الماء النمير: الصافي. غير المحلل: الذي لم تدركه السابلة في نزولها عليه.

وَفــرع يــزيــنُ المتــنَ أسْــوَد فــاحــم
أثيث كقنــو الــنـخـلةِ المتعثكل[١]
غــدائــرُهُ مُستشــزراتٌ إلـى الـعــلا
تَضِــلُّ المـدَارَى في مُثَنًّى ومُــرْسَــل[٢]
وكَشْحٍ لـطيفٍ كــالجــديـل مُخَصَّــرٍ
وسَــاقٍ كـأنبــوب السَّقيِّ المــذَلَّــل[٣]
وتَــعْطُو بِرَخْصٍ غَيــر شَثْنٍ كأنــه
أساريعُ ظَبـي أو مساويكُ أسْحَلِ[٤]
تُـضيءُ الـظلامَ بــالـعـشــاء كــأنـهــا
مـنــارةُ مُـمْـسَى راهــبٍ مـتـبتِّــل[٥]

---

(١) الفرع: الشعر التام. المتن: ما عن يمين الصلب وشماله من العصب واللحم. الفاحم: الشديد السواد. الأثيث: الكثير. المتعثكل: الذي دخل بعضه في بعض لكثرته.

(٢) الغدائر: الذوائب. مستشزرات: مجدولات، مرتفعات. المدارى: جمع مدرى، وهي مثل شوكة يخلل بها شعر المرأة ويصلح، أو هو المشط. مثنى ومرسل: أي بعضه مثنى متجعد وبعضه مسترسل غير متجعد.

(٣) الكشح اللطيف: الخصر النحيل الحسن. الجديل: زمام يتخذ من السيور فيجدل، فيجيء حسناً ليناً. أنبوب السقي المذلل: ساق كساق البردى وهو نبات يقوم على سوق في مناقع الماء ويعرف كثيراً بمصر. المذلل: الحروث.

(٤) تعطو برخص: تتناول ببنان لطيف. أساريع ظبي: كأنه دود صغار بما يرى في الكثيب المسمى بظبي. الأسحل: شجر يستاك به.

(٥) المنارة: يريد بها سراج الراهب الذي يستضيء به في وحدته وانقطاعه لعبادة ربه.

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها
نَئُومُ الضُّحا لم تنتطق عن تفضُّلِ[1]
إلى مثلها يرنو الحليمُ صبابةً
إذا ما اسبكرَّتْ بين دِرعٍ ومِجْوَلِ[2]

إنها فتاة جميلة، رائعة، ممشوقة القد، رشيقة القوام، في ريعان الشباب وميعة الصبا. بشرتها بيضاء، صافية، حسنة، كلها أنوثة ونضارة وشباب وتوثب. قد خلقت ونشأت في نعمة من العيش والترف. صدرها يشع بالنور والبهجة والأنوثة والجمال. عيونها حوراء جميلة، ترسل منهما بريقاً كأنه السهام. وجيدها رائع بهيج، ليس بالقصير ولا بالطويل ويبدو جمالها حينما تحيط ذلك الجيد بأحسن الحلي، وأثمن الجواهر. شعرها ليل داج، شديد السواد، طويل يغطي ظهرها، تبدو فيه العناية والرعاية، وهو أشكال مختلفة منه ما هو مرسل، ومنه ما هو معقود، يتداخل ببعضه ويتشابك ولكن في إتقان وإبداع.

وخصرها نحيل، قوي متماسك، لين، لطيف. وساقها أبيض

---

(١) تضحي: تنتبه من نومها في ضحوة النهار. فتيت المسك: ما تفتت منه. لم تنتطق: لم تشد نطاقاً للعمل، يعني أنها مرهفة منصحة مدللة. عن تفضل: عن ثوب النوم.

(٢) يرنو: يديم النظر مع سكون الطرف. الصبابة: الشوق الرقيق. اسبكرت: تمت وكملت. بين درع ومجول: أي أنها بين الكبيرة التي تلبس الدرع وبين الصغيرة التي تلبس المجول. يعني أنها شابة غيداء.

ممتلىء غض. وجسمها حسن جميل البهاء. إنها تعيش في نعيم ورفاهية. تنام حتى الضحا على فراش مضمخ بالمسك والعطور. ولها من الخدم ما يكفيها. وإذا ما ارتدت ثيابها زادتها فتنة وجمالاً، وأضفت عليها بهاء ودلالاً؛ حتى لتذهب بعقل العاقل الرزين.

وتبرز في صورة ثانية(*):

يضيء الفراش وجهها لضجيعها
كمصباح زيت في قناديل ذُبَّال[1]
كأنَّ على لبَّاتِها مُصْطَلٍ
أصابت غَضًى جَزلاً وكُفَّ بأجْذَالِ[2]
وهبتْ له ريح بمختلف الصُّوَى
صَبًا وشَمالٌ في منازل قفَّال[3]

يصف ويتغزل هنا بالوجه والعنق وأعلى الصدر، ذلك الجزء من الجسد الذي يقع عليه نظر الرائي في العادة فيبدو - ولو كانت نائمة - كأنه يبدد الظلام بنوره، ويغمر المكان بالبهجة والسرور،

(*) الديوان - ص ١٢٣ - ١٢٤.

(١) الذُّبَّال: الصانعون فتائل المصابيح.

(٢) اللبات: موضع القلادة وهي جمع لبة. مصطلي: مستدفيء. الغض: شجر سريع الالتهاب في صفاء وجمره أبقى جمر. الأجذال: أصول الشجر.

(٣) الصوى: العلامات تنصب في الطريق لهداية السابلة. قفال: عائدون من السفر.

وهي تزين صدرها وعنقها بحلى تتلألأ وكأنها النجوم المشعة من شدة البريق واللمعان، فتبدو كجمرات تتوهج وتشع بأنوار لا مثيل لها، تبعث في الحياة الدفء وفي الأرجاء الاستقرار والمحبة.

ويبرز الغزل عنده في هذه اللوحة أيضاً(*):

بـأسـوَدَ مُـلتـفٍّ الغـدائـر واردٍ
وذي أشُـر تَـشُـوفُـه وتَـشُـوص[1]

مـنـابـتُـه مـثـل السدوس ولَونه
كشـوك السَّيَـالِ فهـو عـذبٌ يُفيصُ[2]

إن اللوحة الشعرية هذه نراها واضحة، وكأنها تنطق بالجمال أو تكاد. فشعر أسود منظم ومنسق، لامع، مشع بغدائره الطويلة الملتفة في منظر جميل. وفم حلو، عذب، قد بانت فيه الأسنان الرقيقة متراصة في نظام بديع، قد انشقت عن لثة ناضرة جذابة.

(*) الديوان ـ ص ٩١.

(١) بأسود: بشعر أسود. فاحم الغدائر: خصل الشعر الملتفة المدلاة. الوارد: الشعر الطويل المسترسل. وذي أشر: محدد الأسنان في رقة. تشوفه: تجلوه. تشوص: تحافظ على نظافته بالمسواك.

(٢) منابته: يقصد اللثة. السدوس: الطيلسان. السيال: شجر، ويقال إنه نبت له شوك أبيض أشبه شيء بالأسنان، ومفرده سيالة. فهو عذب: يعني ماء الثغر. يفيصُ: يبرق، أو انه يسيل على الأرض.

ويلقي مزيداً من الضوء على الريق في هذا المقطع، فيقول(*):

إذا ذُقْتُ فاها قُلْتُ طَعْمَ مُدامةٍ
مُعتّقةٌ ممّا تجيء به التُّجْرُ(١)
كأنّ التِّجارَ أصعدوا بسبيئة
مِنَ الخصِّ حتى أنزلوها على يسرْ(٢)
فلما استطابوا صُبَّ في الصحن نصفهُ
وشُجّتْ بماء غير طرق ولا كدر(٣)
بماء سَحَابٍ زلَّ عن متن صخرةٍ
إلى بطن أخرى طيّبٌ ماؤه خصر(٤)

(*) الديوان - ص ٧٣ - ٧٤.

(١) إذا ذقت فاها: إذا قبلتها في فيها. مدامة: خمرة معتقة قديمة. التجر: يريد تجار الخمرة.

(٢) التجار: جمع تاجر. أصعدوا: ساروا. السبيئة: الخمر تباع بالمال. الخص: حانوت الخمار. يسر: مقامرون وأغنياء. والمعنى أنه شبه ماء الفم بالخمر، ووصف الخمر بأكمل صفاتها ليرجع ذلك إلى المشبه وهو الريق.

(٣) استطابوا: وجدوا طيبة. الصحن: القدح الكبير. وشجت: مزجت بالماء. الطرق: هو الذي بالت فيه الإبل. ولا كدر: وليست به كدرة. ولا عكر: فهم يختارون الماء صافياً نقياً.

(٤) بماء سحاب: أي أن الماء الذي مزجوا به الخمر من ماء السحاب. زلّ على متن صخرة: انحدر من صخرة متسرباً إلى بطن صخرة أخرى لم يمس التراب ولم يلوث به. خصر: بارد.

فريقها في هذه اللوحة عذب حلو. من ذاقه انتشى وسكر، كأنما شرب من خمر معتقة، ذكية الرائحة، طيبة الطعم، ممزوجة بماء بارد ليسهل شربها نتيجة قوتها، وشدة لعبها في رأس من شرب منها.

يعنى امرؤ القيس في هذه اللوحات الجميلة بإبراز جمال المرأة وتبيان مفاتنها الجسمية، وحياتها التي لا يراها إلّا أن تكون حياة ترف ورفاهية، ودلال وكمال. والمرأة عنده فتاة في ريعان الصبا، نضرة الشباب، فيها كل ما يثير الدهشة والعجب، من وجه صبوح، إلى جسم مكتمل وشعر أسود، وخد أسيل ناضر، وجيد وسيم، وخصر هضيم، وبنان لين أبيض طويل. وحياتها ترف ونعيم.

بعد هذا لا بد من رؤية حياة اللهو والعبث والمغامرات التي كان يقوم بها امرؤ القيس. وربما تكون معظم تلك المغامرات من بنات أحلامه، ومن قبيل الأوهام، نسجها خيال شاعر عاش حياة الترف واللهو. ومن الممكن جداً أن نلمس ذلك بسهولة في معظم قصائده التي نعرض أهمها فيما يلي.

١ ـ يوم دارة جلجل:

تروي الأخبار أن الفرزدق حدث عن جده: «أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عنيزة، وأنه طلبها فلم يصل إليها، وأراد أن يتزوجها فلم يُقضَ له، حتى إذا كان يوم الغدير ـ وهو يوم

دارة جلجل - احتمل الحي متقدمين، وخلفوا النساء والخدم والعُسَفاء[1]. فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف عن رجال قومه، فكمن في غيابة من الأرض، حتى مرت به فتيات، فيهن عنيزة. فلما وردن الغدير نَحّيْنَ العبيد، وتجردن، ودخلن الغدير، فخاتلهن امرؤ القيس، فأخذ ثيابهن فحملها، وأقسم ألّا يعطي جارية منهن ثوبها حتى تخرج كما هي، فتأخذ ثوبها، فأبين ذلك حتى تعالى النهار، وخشين أن يقصُرْن عن المنزل الذي يردنه، فخرجت إحداهن فوضع لها ثوبها فأخذته، وتتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة. فناشدته أن يطرح لها ثوبها، فأبى عليها، فخرجت، فنظر إليها مقبلة مدبرة، فأخذت ثوبها فلبسته. فأقبلن عليه فقلن: عذبتنا وجوعتنا! فقال: إن نحرت لكنّ راحلتي أتأكلن منها قلن: نعم. فعرقبها ونحرها، وأجج الحذم ناراً، فجعل يقطع لهن اللحم فيرمينه على الجمر، ويسقيهن من زكرة[2] كانت معه، ويغنيهن حتى شبعن وطربن. فقالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته، وقالت أخرى: أنا أحمل زكرته، وقالت أخرى: أنا أحمل حشيته وأنساعه، وبقيت عنيزة لم يحملنها شيئاً. فقال لها: يا بنت الكرام، ليس لك بُدّ من أن تحمليني معك، فإني لا أطيق المشي، فحملته على غارب بعيرها، فكان يجنح إليها فيدخل رأسه في خدرها، ويقبلها، فإذا امتنعت أمال خدرها،

(١) العسفاء: جمع عسيف، وهو الأجير.

(٢) الزكرة: زق صغير يجعل فيه الشراب.

فتقول: يا امرأ القيس، عقرت بعيري، فانزل. فسار معهن حتى إذا كان قريباً من الحي نزل. فأقام حتى جَنَّ عليه الليل ثم أتى أهله ليلاً.» ويذكر تلك الحادثة في هذه الأبيات(*):

ألا رُبَّ يوم لك منهُنَّ صالح
ولا سيَّما يومٌ بدارةِ جُلْجلِ(١)
ويوم عَقَرْتُ للعذارى مَطيَّتي
فيا عَجَباً من رَحْلها المتحمَّل(٢)
فظلّ العَذارى يرْتمينَ بلحمها
وشحم كهُدّاب الدِّمقس المفتَّل(٣)
ويومَ دخلتُ الخِدْرَ خدرَ عُنيزة
فقالت لك الويلات إنك مُرجلي(٤)
تقُولُ وقدْ مالَ الغبيطُ بنا معاً
عَقَرْتَ بعيري يا امرأ القيس فانزل(٥)
فقلت لها سيري وأرخي زِمَامَه
ولا تُبْعديني عن جناك المعَلَّل(٦)

(*) الديوان - ص ١١٢.

(١) الدارة: الدار. دارة جلجل: موضع يقال له الحمى.

(٢) يا عجباً: اعجبوا عجباً، أو يا عجبي. المتحمل: المحمول.

(٣) يرتمين: يرمي بعضهن بعضاً بلحمها وشحمها الأبيض كأنه الحرير المفتل.

(٤) الخدر: الهودج. عنيزة: لقب صاحبته فاطمة. لك الويلات: دعاء عليه. مرجلي: عاقر بعيري، وتاركي أمشي مترجلة غير راكبة.

(٥) الغبيط: الهودج. عقرت بعيري: أي أدبرت ظهره، يعني جرصته.

(٦) جناها: اقتطاف حمرة خديها بالقبل، المعلل: الذي علل بالطيب مرة بعد مرة.

٢ ـ يوم الكثيب:

ويقول في هذا*:

ويوماً على ظهر الكثيب تعذَّرتْ
علَيَّ، وآلتْ حَلْفَةً لم تحلَّلِ [١]
أفاطم مهلاً بعض هذا التَّدلُّلِ
وإنْ كنت قد أزمعتِ صرمي فأجملي [٢]
وإنْ كنتِ قد ساءتك مني خليقةٌ
فسُلِّي ثيابي من ثيابك تَنْسُلِ [٣]
أغرَّكِ مني أنّ حبك قاتلي
وأنكِ مهما تأمري القلب يفعلِ [٤]
وما ذرفتْ عيناك إلّا لتضربي
بِسَهْمَيْك في أعشار قلب مُقَتَّلِ [٥]

(*) الديوان ـ ص ١١٣ ـ ١١٤.

(١) الكثيب: الرمل المجتمع في ارتفاع. تعذرت: امتنعت. آلت: حلفت. لم تحلل: لم تستثن في يمينها، أي جعلته حلفاً قاطعاً.

(٢) مهلاً: قليلاً قليلاً. بعض هذا التدلل: كفي بعض تدللك عني، وأقلي منه. أزمعت: عزمت ونويت. صرمي: قطيعتي. أجملي: أحسني.

(٣) خليقة: خلق، طبيعة. ثيابي: يريد بها قلبه. سلي: انزعي.

(٤) أغرك: أحملك على الاغترار بي أن حبك قد برح بي حتى كاد يقتلني، والقلب: يريد به قلبه لأنه لا سلطان له عليه، وإنما السلطان والتصرف فيه لها هي.

(٥) ذرفت: دمعت. بسهميك: يريد بهما عينيها. أعشار القلب: أجزاؤه. مقتل: مذلل بحبك.

في هذا الموقف يبدو راجياً متوسلاً، لأن الحبيبة تمتنع عنه، وتقسم ألّا تنساق معه في رغباته وأعماله، إلى أن نراه منهاراً متوسلاً بأن تخفف عليه التدلل والاحجام. وكل ما يتمناه أن تحسن معاملته إن كانت قد قررت وعزمت على تركه وقطيعته، فتكون الفرقة، والقطيعة في رق ولطف لا بجفاء ومشاكسة. ويظهر الرجاء والترجي حينما يقول: إن كان فيّ خلق لا يعجبك، فردي إليّ قلبي الذي استوليت عليه. وبيّن لها أن حبه لها قد نال منه وكاد أن يقتله، وفؤاده قد أصبح طوع هواها، وأنها إن بكت وذرفت الدموع فإنها تؤلمه وتوجه سهام الموت إلى قلبه الولهان، المفتون بحبها وبجمالها.

٣ ـ بيضة خدر *:

وقال في هذا:

وبيضة خدْر لا يرامُ خباؤها
تمتّعت من لهو بها غير معجَلِ[١]
تجاوزتُ أحراساً إليها ومعْشراً
عليَّ حِراصاً لو يسرُّون مقتلي[٢]

(*) الديوان ـ ص ـ ١١٤ ـ ١١٥.

(١) بيضة خدر: ورب غادة مخدرة. لا يرام خباؤها: لا يستطاع الوصول إليها. غير معجل: غير خائف من أحد.

(٢) تجاوزت أحراساً: مررت بحراسها وأهلها الحريصين على قتلي لو يستطيعون ذلك.

إذا ما الثريا في السّماءِ تعرّضتْ
تعرُّضَ أثناء الوشاح المفصَّل[1]
فجئتُ وقدْ نضّتْ لنوم ثيابها
لدى السِّتْر إلاّ لِبْسَةَ المتفضِّلِ[2]
فقالتْ: يمينُ الله مالكَ حيلَةٌ
وما إنْ أرى عنك الغواية تنجلي[3]
خرجتُ بها أمشي تجرُّ وراءنا
على أَثَرَيْنَا ذيلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ[4]
فلمَّا أجَزْنَا ساحةَ الحيّ وانْتَحَى
بنا بطنُ حِقْفٍ ذي ركامٍ عَقَنْقَلِ[5]

---

(١) أثناء: جمع ثِنْي، وثِنىً، وثِنيّ. الوشاح: خرز يعمل من كل لون. الذي فصِّل بالزبرجد، أو يجعل بين كل خرزتين فيه لؤلؤة. وتعرضت الثريا: تصويت للمغيب فهي إذا كانت على وشك المغيب تتعرض، كما أن الوشاح إذا طرح تلقاك بناحيته.

(٢) نضت: خلعت، ونزعت. اللبسة: هيئة اللباس. المتفضل: الذي يلبس الفضُل، وهو الثوب الواحد الذي يلي الجسد. لدى الستر: عند الستر.

(٣) حيلة: احتيال. مالك حيلة: أي ليس لك وجه مجيء إلينا. الغواية: مصدر غوى يغوي غياً وغواية، وهي الضلال والفساد. تنجلي: تنكشف وتذهب.

(٤) خرجت بها أمشي: أي خرجت بها من البيوت لأخلو بها. المرط: إزار خز. المرحل: الموشى.

(٥) أجزنا: قطعنا. الساحة: الفِناء. حقف: رمل متعرج. ركام: بعضه فوق بعض. عقنقل: منعقد، متداخل.

هَصَرتُ بفَوديْ رأسها فتمايلتْ
علَيَّ هضيمَ الكشح ريّا المخَلْخَل[1]
إذا التَفَتَتْ نحوي تضوَّع ريحُها
نسيمَ الصَّبا جاءتْ برَيّا القرنفلِ[2]

إنه في هذه اللوحة الفنية يظهر على عكس ما كان فيه في اللوحة السابقة فيأتي بخيالات ربما لم تكن في الواقع. ويصور نفسه وكأنه قد استطاع الوصول إلى عقيلة من عقائل قوم يبالغون في رعايتها والمحافظة عليها. واستطاع بقدرته وذكائه الوصول بعدما تجاوز الحراس، وبعدما تخطى الأهوال والصعاب من أجلها، وصل إليها بعدما تخطى الليل ومضى منه وقت طويل، إذ إنها كانت في ثياب النوم لا ترتدي إلاّ غلالة. ولما رأته تعجبت من حنكته واحتياله ونجاته من كل الأهوال والأخطار. وإنه لم يقف في صورته عند هذا الحد بل تجاوزه مبالغاً في صنع المعجزة التي نذر نفسه إليها، وتمادى في عمله، إذ أخذها معه بعيداً عن مضارب العشيرة، وهداها تفكيرها إلى إخفاء معالم أثرهما بجر ثيابها وراءهما. إلى أن وصلا إلى مكان بعيد أمين وحصين. وهناك تضوع طيبها وأريجها في شتى الأنحاء والأرجاء، فهب النسيم من عمق ليل حالم عطراً شذياً.

(١) هصرت: جذبت. بفودي رأسها: بجانبي رأسها. هضيم: ضامر. المخلخل: موضع الخلخال.

(٢) تضوع: فاح وانتشر. النسيم: تحرك الريح بلين ورقة. الريا: الرائحة.

٤ - مع امرأة:

ويقول في هذا(*):

سمــوتُ إليهــا بعـْدمــا نــام أهـلهــا
سُمُـوّ حَبابِ المـاء حـالاً على حـالِ(١)

فـقــالتْ سبـاك الله إنــك فــاضحي
ألست تـرى السُّمَّار والنـاس أحـوالي(٢)

فـقـلت يـمـيـن الله أبــرح قـاعــداً
ولـو قَطَّعـوا رأسي لـديـك وأوصـالي(٣)

حـلفـت لــهــا بــالله حـلفـة فـاجـر
لنَامُوا، فمـا إنْ من حديثٍ ولا صَـال(٤)

فلمــا تنــازعنــا الحـديـث وأسمـحتْ
هصـرتُ بغُصْنٍ ذي شمـاريـخ مَيَّـال(٥)

(*) الديوان: ص - ١٢٤ - ١٢٥.

(١) سموت إليها: نهضت وذهبت ووصلت إليها. حباب المـاء: طرائقـه. سمو حباب الماء: يعني كنت في ذلك كحباب الماء وهو يعلو بعضه بعضاً في رفق ومهل. حالاً على حال: أي شيئاً بعد شيء حتى صرت إلى الذي أردت.

(٢) سباك الله: باعدك الله وفضحك. وإنما قالت ذلك له خوفاً من الفضيحة.

(٣) أبرح قاعداً: لا أبرح قاعداً في مكاني. أوصالي: مفاصلي.

(٤) حلفة فاجر: يمين فاسق. لناموا: لقد ناموا. الصالي: المستدفيء بالنار.

(٥) أسمحت: لانت وانقادت. هصرت: جذبت. هصرت بغصن: أي أملتها إليَّ كما أميل الغصن اللين.

وصـرنـا إلى الحسنى ورَقَّ كـلامنـا
ورُضتُ، فَذَلَّتْ، صَعْبَةً، أي إذلال[1]
فـأصبحت معشـوقـاً وأصبـح بعلهـا
عليـه القتـام سيء الـظَّنِّ والبـال[2]
يَـغُطُّ غـطيط البَـكْـرِ شُـدَّ وِثـاقُـه
لـيقتُـلني والـمـرءُ لـيس بقَـتَّـالِ[3]
أيـقتـلني والـمشـرفيُّ مُـضـاجـعي
ومسنـونَـةٌ زرقٌ كـأنيـاب أغـوالِ[4]
ولـيس بـذي رمـح فـيـطعُنني بـه
ولـيس بـذي سيـف وليس بـنبّـالِ[5]
أيـقتُـلُني وقـد شـغـفـت فـؤادهـا
كمـا شَغَفَ المهنوءةَ الـرجـلُ الـطالي[6]

(١) صرنا إلى الحسنى: أي إلى ما نحب من الأمور. رق كلامنا: كان بصوت منخفض كأنه همس لئلا يشعر بنا أحد، ورضت: ذللت الصعب منها. أسمحت: انقادت وسهلت بعد صعوبتها وامتناعها. ذي شماريخ: شعر يشبه شماريخ النخلة لغزارته وتداخله. ميّال: لين، يميل وينثني برقة ورشاقة.

(٢) معشوقاً: محبوباً، القتام: الغبار. سيء الظن: ساءه ما رآه منها، أو ما لاحظه على سلوكها، وشعورها نحوه.

(٣) يغط: يردد صوتاً كصوت المختنق. البكر: الفتيّ من الإبل. شد خناقه: وضع حبل حول عنقه ليراض به. ليس بقتال: لا يقدر على القتل.

(٤) المشرفي: السيف المنسوب إلى الشام. مسنونة زرق: سهام مسنونة، حادة. الأغوال: الشياطين.

(٥) النبال: صانع النبال، ويقصد هنا النابل، أي الرامي.

(٦) شغفت فؤادها: بلغ حبي شغاف قلبها. المهنوءة: الناقة المطلية بالقطران.

وقـد علمتْ سلمى وإن كـان بـعلهـا
بـأن الفتى يـهـذي ولـيس بِفَـعَّـالِ[1]
وبيت عـذارى يـوم دَجْنٍ ولجـتُـه
يُـطِفْنَ بجَمَّـاءِ المَـرَافِقِ مِكْسالِ[2]
سِبَـاطِ البَنَـانِ والعـرانين والقَـنَا
لـطافِ الخُصُـورِ في تمـامٍ وإكمالِ[3]
نـواعم يُتْبِعْـنَ الهـوى سُبُـلَ الـرَّدَى
يَقُلْنَ لأهـلِ الحلم ضُلاًّ بتضـلالِ[4]
صـرفتُ الهوى عنهنَ مِنْ خشيـة الـردى
ولـستُ بـمقلِيِّ الـخِـلال ولا قـالِ[5]

يظهر الشاعر هنا بمظهر الممتنع، الذي يجد الأسباب كلها ميسرة، والسبل أمامه ممهدة، ولكنه يخشى أن يلحقه العار، وتحيق به الإهانة إذا افتضح أمره، واكتشف سرّه. فينصرف سالماً حفاظاً على كرامته وعنفوانه.

(١) الفتى: يزيد زوجها. يهذي: يقول ما لا يعقل من التهديد والوعيد. ليس بفعال: لا يفعل شيئاً.

(٢) الدجن: إلباس الغيم السماء. ولجته: دخلته. جماء المرافق: غائبة عظم المرفق لكثرة لحمها ونعمتها. مكسال: بطيئة عن العمل لغضارتها ونعمتها.

(٣) سباط البنان: طوال الأصابع. العرانين: الأنوف. القنا: القامات.

(٤) يتبعن الهوى سبل الردى: هواهن يؤدي إلى الهلاك. أهل الحلم: العقلاء.

(٥) الردى: الموت والهلاك. خشية الردى: خوف الفضيحة. مقلي: مكروه. الخلال: الخصال والصداقة.

الذكرى والحنين:

في هذا الموضع تتوالى لديه صور الحنين والذكريات، صور الفراق والارتحال. وما حلّ بالمضارب والمنازل والديار، التي كانت مربعاً، وملعباً للحبيبة، وكانت مشاعره تثار حينما تقع عينه على تلك الديار المهجورة، المتروكة، المنسية ديار الأنس والبهجة والطمأنينة، التي أصبحت موحشة مقفرة، وأصبحت الديار أطلالاً لا أثر فيها إلاّ ويثير لوعة وأسى. عند هذا يطلب من صاحبيه أن يقفا. ويقول(*):

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللِّوَى بين الدَّخول فحَوْمَلِ (١)
فتُوضِحُ فالمقراةِ لم يعفُ رَسْمُهَا
لما نسجتها من جنوب وشمألِ (٢)
تَرَى بَعْرَ الأرْآمِ في عَرَصَاتِها
وقيعَانها كأنّه حبُّ فلفل(٣)

(*) الديوان ـ ص ١١٠ ـ ١١١.

(١) السقط: منقطع الرمل. اللوى: حيث يتلوى الرمل. الدخول وحومل: بلدان.

(٢) توضح فالمقراة: موضعان. لم يعف: لم يذهب ولم يدرس. الرسم: الأثر. جنوب: ريح جنوبية. شمال: ريح شمالية.

(٣) الأرآم: جمع رئم، وهي الظباء البيض. العرصات: جمع عرصة، وهي الساحة. القيعان: جمع قاع وهو موضع استجماع الماء.

وقـوفـاً بـهـا صحبي عـلى مـطيَّهم
يقـولـون لا تهـلك أسى وتـجمَّـلِ (١)
وإن شـفـائي عـبـرةٌ إن سـفـحتـهـا
فهـل عنـد رسم دارسٍ من مُعَـوَّلِ (٢)

عندما رأى آثار الديار الخالية، طلب من صاحبيه الوقـوف بجانبه. فقد هاجت ذكرياته، عندما وجد الـديار موحشة. وثارت لوعته، لما آل اليه المنظر، فبعد أن كان موطن الجمـال، صار مسكن الوحوش، ومصدر الهموم. ولم يقف عند هذا الحدّ بل انهمرت الدموع من عينيه، ويحاول صاحباه أن يخففا الأسى عنه ولكنه يتساءل: هل يجدي البكاء عند رسوم الأطلال.

لكننا إذا نظرنا إلى المعنى العام بنظرة استحداث للتراث، نرى فيه ما يناسب الواقع. إذ أنه يبكي الأرض المتروكة بلا حراثة ولا زراعة. ويبكي حال الناس الذين لا يتعلقون بالتراب وبالثرى.

ليس هذا فقط بل نراه في مواضع كثيرة يصف موكب الرحلة، ويقول(*):

تَبَصَّـرْ خـليلي هَـلْ تَـرَى من ظعـائـنٍ
سَـوالِكَ نَقْبـاً بين حَـزْمَيْ شَعَبْعَبِ (٣)

---

(١) المطي: الإبل. تجمل: تصبر وتجلد وتحمل.

(٢) العبرة: الدموع. سفحتها: صببتهـا. رسم: أثر. دارس: ذهبت معـالمه. معول: جدوى ونفع.

(*) الديوان ـ ص ٣٠ ـ ٣١.

(٣) الظعائن: النساء في الهودج. النقب: الطريق في الجبل. شعبعب: اسم ماء.

عَــلونَ بــأنــطاكيَّــة فــوقَ عِــقْمَــةٍ
كجــرمــةِ نَخْــلٍ أو كجنــة يَثْــربِ[1]
فــلِلَّهِ عَيْــنَــا مَنْ رأى مــن تَــفَــرُّقٍ
اشَتَّ وأنــأى من فــراق الــمحَــصَّب[2]
فــريقــان: منــهم جــازعٌ بــطن نــخلةٍ
وآخــر منهم قــاطــعٌ نَجْــدَ كَبْكَــبِ[3]
فعينــاك غــربــا جــدولٍ في مُفَــاضَــةٍ
كَمــرٍّ الخليج في صفيــح مُصَــوّب[4]

يبين في هذه الصورة أن موكب الرحلة قد سار في طريق بين مرتفعين. وكانت النساء في الهوادج يظهرن في منظر جميل وبهيّ. وأن القوم تفرقوا كل إلى وجهته أما صاحبنا فقد آلمه المنظر، وانهمر الدمع من عينيه شوقاً ولوعة.

وفي منظر آخر يصور رغبته في الذهاب إلى الحبيبة بعد

---

(١) علون بأنطاكية: غطين بثياب أنطاكية. جرمة نخل: ما يقطع من البلح. الجنة: البستان.

(٢) فلله أمر من رأى: يعظم أمر الفراق. أنأى: أشد بعداً. المحصب: المكان الذي ترمى فيه الجمار بمدينة منى.

(٣) بطن نخلة: بستان ابن مَعْمَر. النجد: المرتفع. كبكب: اسم جبل.

(٤) الغربان: مثنى غرب وهو الدلو. الجدول: النهر الصغير، والمراد به هنا البئر. المفاضة: الأرض الواسعة. الخليج: النهر المتفرع من نهر أعظم. الصفيح: الحجارة العريضة على جانبي النهر. المصوب: المنحدر.

ارتحالها، لكنه يدرك أنّ ما بينه وبينها أخطارٌ جِسام، ويقول(*):

أمِنْ ذكـر سلمـى أن نَـأتْـكَ تَنُـوصُ
فتقـصـر عنـهـا خُـطوةً أو تَبُـوصُ[1]
وكـم دونـهـا مـن مَـهْـمَـهٍ ومـفـازةٍ
وكم أرضِ جَـدْبٍ دُونها ولصـوصُ[2]

وفي موقف آخر نراه في حيرة، لأنه محتاج إلى معرفة شعورها بعد الفراق فيتساءل(*):

ألا ليت شعـري كيف حَـادثُ وَصْلِهـا
وكـيف تُـراعـي وُصْلَةَ الـمتـغيِّـبِ[3]
أدامـت بـيـنـنـا عـلى مـا مِنْ مَـوَدَّةٍ
أميمـة أم صـارت لقـول المخَبِّـبِ[4]

وأخيراً نراه وكأنه يجيب سائلاً يسأله عن رأيه في المرأة ومـا تحـب فيجيب:

(*) الديوان ـ ص ٩١ ـ ٣٠ ـ ٨٦.

(١) نأتك: بعدت عنك. تنوص: تحول. تقصر عنها خطوة: تحتبس عنها خطوة. تبوص: تسبق.

(٢) المهمه: الأرض البعيدة التي لا أنيس فيها.

(٣) كيف حادث وصلها: أي هو ثابت أم متغير. وكيف تراعي وصلة المتغيب: هل تحفظ وصالي وتدوم على محبتي، وأنا غائب؟.

(٤) المخبب: المفسد الذي يعلمها المكر والفساد.

أراهـن لا يُـحْـبِـبْــن مَنْ قــلّ مَــالُــهُ
ولا من رأين الشيب فيــه، وقــوســا[1]

إنه يرى أنهن لا يحببن الرجل الفقير، ولا من هرم وكبر وشاب شعره، وتقوس ظهره نتيجة الكبر.

لقد تهيأت الظروف والأسباب لامرىء القيس، فصدر عنه هذا اللون من الغزل الرقيق، بأسلوب قصصي يصور فيه ما يختلج في النفس الإنسانية وما يدور بنفسه المنحرفة التي تخلت عن كل ألوان المسؤولية، وحرمت من التوجيه والإرشاد.

وقد لعب الخيال دوراً كبيراً في إبراز هذه الصور التي تمثل أوهام الشباب وظهرت لديه الحيلة وسعة الخيال، والموهبة الطبيعية مما جعله يغزو قلوب النساء بسلاح الكلمة الرقيقة والمعاني الأنيقة.

ـ الطرد والقنص:

يمثل هذا الجانب في شعر امرىء القيس، لوناً من ألوان النشاط الانساني، ولعباً فردياً وجماعياً، يمارسه الانسان في أوقات محددة، ويرفه عن نفسه في الطبيعة التي هي أم الجمال والعطاء. وهذا الجانب هو رياضة وفتوة لا يزال الكثيرون يمارسونها حتى وقتنا الحاضر.

---

(١) أراهن: يعني النساء. وقوس: انحنى ظهره لكبر سنه.

والشاعر هنا يعرض لنا صوراً لمناظر مختلفة. فحيناً نراه على صهوة جواده وحيناً على فرس تكاد تطير به. وهذه الصور كثيرة في شعره نتمثل منها هذه المقاطع الدالة والموحية على قصدنا(*):

وقـد أغتـدي والـطيـرُ في وُكُنـاتهـا
بـمنجـردٍ قيـدِ الأوابـد هَيْكَـلِ (١)
مِـكَـرٍّ، مِـفَـرٍّ مقبل مدبرٍ مَـعـاً
كجلمودِ صخرٍ حـطَّهُ السيلُ من عَـلِ (٢)
كُمَيْتٍ يَـزِلُّ اللِّبْـدُ عـن حـال مَتْنِـهِ
كمـا زَلَّتِ الصَّفْـواءُ بـالـمتَنـزَّلِ (٣)
مِسَحٍّ إذا مـا الـسـابحـاتُ على الـونى
أثَـرْنَ غُبـاراً بـالكَـديـدِ المـرَكَّـلِ (٤)

(*) الديوان - ص ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠.

(١) منجرد: فرس قصير الشعر. الأوابد: الوحش. الهيكل: الفرس الضخم.

(٢) مكر مفر: متعود على الكر والفر وهما الإقبال والإدبار. الجلمود: الصلب الشديد التماسك.

(٣) يزل: ينزلق. متنه: ظهره. الحال: موضع اللبد من ظهره، يريد أن الحصان أملس يزلق اللبد، الصفواء: الصخرة الملساء. المتنزل: النازل عليها.

(٤) مسح: يتتابع في جريه بسهولة وسرعة مثل سح المطر وهو انصبابه. السابحات: التي تبسط يديها إذا عَدَتْ فكأنها تسبح. الونى: الفتور والتعب. الكديد: ما غلظ من الأرض. المركل: الذي ركلته الخيل بحوافرها، فأثارت الغبار لصلابتها وشدة وقعها.

على العَقْبِ جَيَّـاشٍ كـأنّ اهتـزامَـه
إذا جاش فيـه حَمْيُـه غَلْيُ مِرْجَـلِ(١)
يُـطِيـرُ الغـلامَ الخِفَّ عن صَهَـواتـهِ
ويُلْوِي بـأثـواب العنيف المـثقَّـلِ(٢)
دَرِيـرٍ كـخُـذروف الـولـيـد أمَـرَّه
تُـقَلُّبُ كـفَّـيْـهِ بـخيط مُـوَصَّـلِ(٣)
لـه أيْـطَلا ظَـبْيٍ وسـاقـا نـعـامـةٍ
وإرخـاء سِـرحـانٌ وتقـريبُ تَتْفُـلِ(٤)
كـأنّ عـلى الكـتفـين منـه إذا انْتَـحَى
مَـدَاكَ عَـرُوسٍ أو صَـرَايَـةَ حَنْـظَلِ(٥)

---

(١) العقب: جري بعد جري. اهتزامه: صوت جوفه عند الجري. حمي: غلي مرجل: قدر.

(٢) الخف: الخفيف. الصهوات: جمع صهوة، وهي موضع اللبد من ظهره، وجمعها يقصدها وماحولها. أي أن هذا الحصان يسقط الغلام الخفيف عن ظهره لسرعته وشدة دفعه. يلوي بأثوابه: يذهب بها ويسقطها من شدة عدوه. العنيف: الأخرق. المثقل: الثقيل الذي لا يحسن الركوب.

(٣) درير: سريع خفيف. الخذروف: لعبة يلعبها الصبيان لها صوت وهي سريعة الحركة. خيط موصل: لعب به كثيراً فتقطع فوصل.

(٤) الأيطل: الخاصرة. الأرخاء: سير ليس بالشديد. السرحان: الذئب التتفل: ولد الثعلب.

(٥) مـداك العروس: الحجر الذي يسحق عليه الطيب. الصـراية: الحنـظلة الصفراء.

وبـاتَ عـليـه سَـرْجُـه ولـجـامُـه
وبـات بعيني قـائمـاً غير مُـرْسَـلِ [1]
فَـعَـنَّ لـنـا سـربٌ كـأنَّ نـعـاجـه
عـذارى دَوَارٍ في الْمَـلاء المـذَيَّـلِ [2]
فـأدبَـرْنَ كـالجـزعِ المفصَّـلِ بينـه
بِجِيْـدٍ مُعَمٍّ في العشيـرةِ مُخْـوَلِ [3]
فـألـحَقَـنَـا بـالـهـاديـات ودُونـه
جَـوَاحِـرُهـا في صَـرَّةٍ لم تَـزَيَّـلِ
فـعـادى عِـداءً بـين ثـور ونـعـجـة
دِرَاكـاً ولم يُنْضَـح بمـاءٍ فَيُغسَـلِ
وظَـلَّ طُهَـاةُ اللحم من بين مُنْضِـجٍ
صَفِيفَ شِـواءٍ أو قـديـرٍ مُعَجَّـلِ
ورُحْـنـا وراحَ الـطرْفُ ينـفضُ رأسـه
متى مـا تَـرَقَّ العينُ فيـه تَـسَهَّـلِ
كـأن دمـاءَ الـهـاديـات بنَـحـرِهِ
عُـصـارةُ حِـنّـاءٍ بشَـيـبٍ مُـرَجَّـلِ

---

(١) بات عليه سرجه ولجامه : كان معداً للصيد في الصباح . مرسل : بعيد .

(٢) عَنَّ : عرض وبان . نعاجه : إناثه . دوار : صنم من أصنام الجاهلية . الملاء : الملاحف . المذيل : الطويل ذو الأهداب .

(٣) الجزع : الخرز . المفصل : الذي فصل بينه باللؤلؤ . جيد : عنق . مخول : صبي كريم العم والخال .

وأنت إذا استدبرته سَدَّ فَرْجَه

بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزل

في هذا المقطع صور كثيرة ومتنوعة منها: صورة الحصان، وبقر الوحش، والظهاة وحال الحصان بعد المجهود الذي بذله في العمل. فالحصان أعد للصيد ليلاً، لأن الرحلة في الصباح الباكر، والحصان نفسه يعرف هدفه وغرضه إذ أنه يخرج نحو هدفه قبل أن تغادر الطيور أوكارها. وهو جواد كريم أصيل، ملء العين والفؤاد، ضخم، ضامر، قصير الساقين، طويل الفخذين. فيه قوة تؤهله للسيطرة على الوحوش، وحبس أنفاسها. وظهره أملس ناعم حتى أن اللبد ينزلق عليه سريعاً بمجرد لمسه. ثم يبدأ الحصان بالجري. فينطلق كالسهم، بحيث لو ركبه غلام خفيف لطار بعيداً عن صهوته، ثم لاح له من بعيد قطيع من البقر الوحشي، بيض اللون طوال الذيل، يدور ويلعب في مرح ونشاط. فاندفع الحصان نحوه وضرب نطاقاً حصيناً حوله، وجمع الحصان بين أواخر القطيع وأوائله، ولم يَفُتْ منه شيء. وصرع كثيراً من النعاج دون أن يظهر عليه أي جهد وتعب. وأخيراً أتى دور الظهاة، فأعدوا الطعام، ثم جاءت المائدة وعليها أصناف الأطعمة. حيث كان الشاعر مرتاحاً لهذا المنظر الرائع. ومستأنساً بحصانه، إذ كان ينظر إليه من ناصية رأسه حتى ذيله المنسق الجميل.

ونشاهد في هذا المنظر وصفاً آخر للحصان، فيه تجسيم،

وصور متعددة للفارس وحركات الحصان، والحيوانات، والخدم، وللرحلة الطويلة من بدايتها حتى نهايتها(*).

وقــد أغتــدي والــطيــرُ في وَكُنــاتهــا
وماءُ الندى يجري على كل مِذْنَبِ[1]
بــمــنــجــردٍ قــيــد الأوابِــدِ لاحَــه
طــرادُ الهــوادي كــلَّ شــأوٍ مُغَــرِّبِ[2]
عـلى الأيْـنِ جَـيَّـاشٍ كـأن سَـرَاتَـه
عَلَى الضُّمْرِ والتَّعْداءِ سَرْحَةُ مَرْقَبِ[3]
يُبــارِي الخنــوفَ المستَقِــلَّ زَمــاعُــه
تَـرَى شَخصَـهُ كـأنـه عُـود مِشْجَبِ[4]
لــه أيــطلا ظـبيٍ وســاقــا نعــامَــةٍ
وصهــوةُ عَيْرٍ قــائمٍ فَـوْقَ مَــرْقَبِ[5]

(*) ص - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥.

(١) المذنب: سيل الماء إلى الروضة. الندى: المطر.

(٢) الهوادي: السابقة. لاحه: أضمره، طراد: مطاردة. الشأو: الطلق. مغرب: بعيد.

(٣) الأين: التعب. التعداء: كثرة العدو. السرحة: ما عظم من الشجر وطال. المرقب: الأرض المرتفعة.

(٤) الخنوف: الذي يرمي بيديه في السير. المستقل: القليل. عود مشجب: ضامر أملس.

(٥) صهوة: ظهر.

ويـخـطو على صُمٍّ صـلابٍ كـأنَّهـا
حجـارةُ غَيْـلٍ وَارِسـاتٌ بِـطُحْلَبِ[1]
لـه كفَلٌ كـالـدِّعصِ لبَّـدهُ النَّـدَى
إلى حـاركٍ مثـل الغبيط المـذَأَّبِ[2]
وعيـنٌ كـمـرآةِ الـصَّنـاع تُـديـرهـا
لمحْجِـرِهـا من النَّصِيفِ الـمنَقَّبِ[3]
لـه أُذُنـان تـعـرفُ العِـتْقَ فيـهـمـا
كَسَـامِعَتَيْ مـذعـورةٍ وَسْطَ رَبْـرَبِ[4]
ومُـسْتَـفْلِكُ الـذِّفـرى كـأنَّ عِنـانَـه
ومَثنـاتَـه في رأسِ جِـذْعٍ مشَـذَّبِ[5]
وأسْـحَـمُ رَيّـانُ الـعَسِيـب كـأنـه
عثـاكيـل قِنـوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُـرْطِبِ[6]

---

(١) الصم: الحوافر الصلبة. الغيل: الماء الجاري على الأرض. وارسات: مصفرات.

(٢) الدعص: الكثيب من الرمل: لبّده الندي: سقط الندى على الرمل فتماسك واشتد ولم يتساقط. المذأب: الموسّع. الحارك: أعلى الكاهل.

(٣) الصناع: الحاذقة بالعمل. المحجر: ما استدار حول العين. النصيف: الخمار. المنقب: الذي تقنعت به.

(٤) مذعورة: يعني بقرة وحشية قد ذعرت. الربرب: القطيع من البقر.

(٥) المستفلك: المستدير. الذفرى: عظم ناتيء خلف الأذن. المثناة: الحبل المشدود في رأسه.

(٦) الأسحم: الأسود. ريان العسيب: ممتلىء الذنب. العثاكيل: الشماريخ. القنو: العنقود.

إذا مـا جرى شـأوين وابتـلّ عِـطْفُـه
تقـولُ هـزيـزُ الـريـح مَـرَّتْ بـأثـاب[1]

يُـديـرُ قـطاةً كـالـمحالـة أشـرَفَـتْ
إلى سنـدٍ مـثـل الغـبيط الـمـذَأّبِ[2]

ويَـخْضِـدُ فـي الآريِّ حتـى كـأنـمـا
بـه عُـرَّةٌ من طـائفٍ غـيـرِ مُعْقِبِ[3]

فـيـومـاً عـلى سـرب نـقـيّ جـلوده
ويـومـاً عـلى بـيـدانـة أمِّ تَـوْلَـبِ[4]

فـبـيـنا نـعـاجٌ بـرتـعـيـن خـمـيـلةً
كمشي العذارى في الملاء المهـدَّبِ[5]

فـكـان تـنـاديـنـا وعَـقْـد عِـذَارِهِ
وقـال صِحابِي قـد شـأَوْنَـكَ فـاطلُبِ[6]

---

(١) الشأوان: مثنى شأو، وهو السريع. ابتل عطفه: سال عرقه على جانبيه. هزيز الريح: صوتها. الأثاب: شجر.

(٢) القطاة: مقعد الردف. المحالة: البكرة العظيمة. أشرفت: مشرف مرتفع. مذأب: له ذئب، جمع ذئبة وهي الفروج.

(٣) يخضد في الأري: يكسر الأواخي. العر: الجرب.

(٤) السرب: القطيع من بقر الوحش. نقي جلوده: يريد بياض جلوده. البيدانة: الأتان الوحشية المكتنزة الجسم. التولب: الجحش.

(٥) النعاج: إناث بقر الوحش. الخميلة: رملة فيها شجر. المهدّب: ذو الهدب.

(٦) تنادينا: نداء بعضنا بعضاً. عقد عذاره: ربطه. شأونك: سبقنك.

فـلأيـاً بـلأي مـا حملنـا وليـدنـا
على ظهـر محبـوك السَّـراةِ محنَّب[1]
وَوَلّى كشؤبُـوب العشيِّ بـوابـل
ويَخـرُجْن من جَعْـد ثـراه مُنَصَّـب[2]
فـللسـاق أُلـهـوبٌ ولـلسَّـوْطِ دِرَّة
وللزجـر منـه وَقـعُ أهـوج مِنْعَب[3]
فـأدرَكَ لـم يَـجْـهَـد ولـم يثن شـأوَه
يَمُـرّ كخـذروف الـوليـد المثقَّـب[4]
تـرى الفأر في مستنقـع القـاع لاحبـاً
على جـدد الصحراء من شَـدٍّ مُلْهِبِ[5]
خَـفَـاهُـنَّ مـن أنـفـاقـهـنّ كـأنـمـا
خـفـاهُنَّ وَدْقٌ مـن عَـشِـيّ مُـجَـلِّبِ[6]

---

(١) لأي: جهد. المحبوك: القوي المجدول. المحنب الذي في يديه وصلبه انحناء.

(٢) شؤبوب العشي: أغزر من غيره. المنصب: المرتفع.

(٣) ألهوب: لهيب. للساق ألهوب: إذا حركه بساقة ألهب الجري. أهوج: لا عقل له.

(٤) لم يثن شأوه: أدرك الوحش بسرعة فائقة.

(٥) القاع: بطن الأرض. الجدد: ما استوى من الأرض وصلب. ملهب: شديد الجري وملتهبه.

(٦) خفاهن: أظهرهن. الودق: المطر. مجلب: تسمع له جلبة لشدة وقعه.

فعادى عِداءً بين ثور ونعجة
وبين شَبُوبٍ كالقضيمة قرهبِ[1]
وظلّ لثيران الصَّريم غماغِم
يُداعِبُها بالسَّمهريِّ المصلَّب[2]
فَكَابٍ على حُرِّ الجبين ومُتَّقٍ
بِمَدْرِيَّةٍ كأنها ذَلْقُ مِشْعَبِ[3]
وقلنا لفتيان كرامٍ ألا انزلوا
فَعالُوا علينا فضل ثوب مطنَّبِ[4]
وأوتاده مَاذِيَّة وعِمادُه
رُدَيْنِيَّةٌ فيها أسِنَّة قَعْضَبِ[5]
وأطنابُه أشطان خُوصٍ نجائب
وصَهْوَتُه مِن أتْحَمِي، مُشَرعَبِ[6]

---

(١) عادى عداء: تابع ووالى صيد الوحش، بين ثور ونعجة. شبوب: ثور مسن.

(٢) الصريم: المنقطع من الرمل. غماغم: أصوات. السمهري: الرمح الشديد.

(٣) الكابي: الساقط على وجهه. المدرية: القرن. الذَلْق: الحد. المشعب: الإشفى، وهو مخرز يشعب به.

(٤) عالوا علينا - ارفعوا علينا. المطنب: المشدود بالأطناب، وهي حبال الخباء.

(٥) الماذية: الدروع الصافية اللينة. الردينية: رماح منسوبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت تقوم الرماح. قعضب: رجل يقال إنه زوج ردينة.

(٦) أشطان: حبال. خوص: غائرة العيون. الأتحمي: نوع من برود اليمن. مشرعب: منوع.

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا
إلى كل حاريٍّ جديد مشطَّبِ[1]
كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرْحُلِنا الجزْعُ الذي لم يثقَّبِ[2]
نَمَشُّ بأعرافِ الجياد أكفَّنا
إذا نحن قُمنا عن شِواء مُضَهَّبِ[3]
ورحنا كأنّا مِنْ جُؤاثى عشيَّةً
نُعالي النِّعاجَ بين عِدْلٍ ومُحْقَبِ[4]
وراحَ كتيسِ الرَّبْلِ ينفض رأسَه
أذاةً بهِ مِنْ صائكٍ مُتحلِّبِ[5]

في هذه الصورة من صور الطرد والقنص، لا يخرج للصيد مبكراً فقط، بل في الغلس ليلحق الطيور في أعشاشها. وكان ذلك في ليلة ماطرة، فركب صهوة جواده الذي اعتاد على مطاردة الوحوش في الأرجاء الواسعة، وهو حصان سريع، ضخم، مرتفع، يسبق الوحوش، ضامر الخصر، صلب الساق، معتدل

(١) أضفنا ظهورنا: أملناها وأسندناها. مشطب: فيه مدارج كمدارج النمل.
(٢) الجزع: الخرز.
(٣) نمش: نمسح. المضهب: الذي لم يدرك نضجه.
(٤) رحنا: عدنا. جؤاثى: قرية بالبحرين تمرها لذيذ. محقب في الحقائب.
(٥) الربل: نبت ينبت ببرد الماء لا بالمطر. الصائك: العرق الثقيل الريح.

الظهر، قوي الحوافر، صافي العين، حاد السمع. وهذه الصفات تدل على أصالة الحصان.

ويظهر من بعيد قطيع من بقر الوحش يختال في مشيته. فترتفع الأصوات بالإسراع نحوه. فيتحرك الحصان بقوة وشدة فزلزل الأرض تحت قدميه وأحدث خفيفاً أفزع الفئران فتركت أنفاقها وهربت، وأدرك القطيع في انطلاقة واحدة. وأخذ يصول ويجول حتى قتل وصرع منه كثيراً، ثم انتهت المعركة فطلب من فتيان معه أن يعدوا العدة للراحة. فأعدوا بيتاً أوتاده دروعهم، وعماده رماحهم، وأطنابه حبال دوابهم، وسقفه أنواع من البرود اليمانية. ثم أعد الطعام اللذيذ، وفي النهاية وعند المساء يقفل راجعاً مع أصحابه، مع اللحم الكثير، والصيد الوفير.

إن الشاعر هنا يظهر بمظهر الصياد البارع المحنك، الخبير بأحسن وسائل الصيد وأساليبه، إنه فنان في هذا المجال، وفي كل مجال طرق بابه. كذلك يظر لنا الشاعر بمظهر الترف والرفاهية؛ فهو يأخذ معه مساعدين من الفتيان، والخدم، والطهاة، كي يسهروا على راحته ويؤمنوا له كل أسباب الراحة.

فشعره في هذا المجال يدل على اهتمامه بالطرد والقنص واعتنائه بالخيل، وحبه للرياضة، وحبه للظهور بمظهر الخبير، الفطن، الميال إلى الرفعة والمجد.

الطبيعة في شعره:

حظيت الطبيعة بنصيب ملحوظ في شعر امريء القيس، فصور كثيراً من ظواهرها الحية والصامتة، الساكنة والمتحركة. وفي هذه المتناقضات نلحظ صوراً لحيوانات مختلفة، ووقف أمام الظواهر الحيوية التي أثارت اهتمامه وحركت مشاعره، فسجل كل ما شاهده بأمانة وصدق، ولون بالكلمات حتى أتت صوره ناطقة أو تكاد. ومن هذه الصور:

١ - الناقة(*):

فَدَعْ ذا وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بجسرةٍ
ذَمُول إذا صام النهار وهَجَّرَا[١]
تُقطِّعُ غِيطاناً كأن مُتُونَها
إذا أظهرتْ تُكْسَى مُلاءً منشَّرا[٢]
بعيدة بين المنكبين كأنها
ترى عند مجرى الضَّفْرِ هِرّاً مُشَجَّرا[٣]
كأن الحصى من خلفها وأمامها
إذا نَجلَتْهُ رِجْلُها خَذْفُ أعْسَرَا[٤]

(*) الديوان ص ٦٣.

(١) جسرة: ناقة نشيطة، الذمول: السريعة السير، هجّر: اشتد حرّه.

(٢) تكسى ملاء منشراً: تنشر عليها السراب وقت الظهيرة وتوهج الحر، فكساها بما يشبه البياض.

(٣) بعيدة بين المنكبين: يقصد سعة صدرها.

(٤) الخذف: الرمي بالحصى ونحوه. نجلته: فرقته ورمت به.

كـأن صليـل الـمَرْوِحيـن تُـطيـرُه
صليـلُ زُيـوفٍ ينْتَقِـدْنَ بـعبقـرا(١)

هذه الصورة من صور التسلية، ووسيلتها الناقة، فمن خلال الوسيلة يهرب الشاعر مع أحلامه لينسى الحزن، ويتحقق ذلك على ظهر ناقة سريعة معتادة على الصعاب وفي أشد الأوقات حراً وتوهجاً، حيث السراب يلف الأرجاء والأنحاء، إنها قوية الجسم، متباعد بين كتفيها. وصدرها واسع لا يضيق بالنفس مهما بذلت من جهد. وهي تجري كالخائف المرتاع فيتطاير الحصى من مناسمها، ويتفرق في كل اتجاه محدثاً صوتاً عالياً شديداً.

٢ ـ البقر الوحشي:

جاءت صور البقر الوحشي في أثناء صور الصيد، وقد رأينا بعض النماذج منها في وصف الصيد والقنص. ويظهر البقر الوحشي في مجمل صوره بلون أبيض جميل، وأذناب طويلة، وفي أرجلها خطوط بيضاء وسوداء. وحينما تكون في خوف من خطر داهم تحدث أصواتاً تتردد في الأرجاء، وهي حيوانات سريعة جداً.

٣ ـ النعام:

استغلت صور الذكر من النعام وهو عائد إلى البيض من مكان

(١) الصليل: الصوت. المرو: الحجارة. تطيره: تفرقه. زيوف: رديئة. عبقر: موضع باليمن.

بعيد لتصوير سرعة الناقة القادرة على الوصول إليه، ففي إحدى الصور يقول الشاعر(*):

كـأنـي ورحلي والقِـراب ونُـمْـرُقـي
على يَـرْفَئيٍّ ذِي زوائـد نِـقْـنِـقِ[1]
تَـروَّحَ مَـن أرض لأرض نـطيّـة
لـذكـرة قيض حـول بيض مُـفَلَّقِ[2]
يـجـول بـآفـاق البـلاد مُـغـرّبـاً
وتَسحَقُـه ريحُ الصَّبـا كـلَّ مَسْحَقِ[3]

لقد ذهب الظليم بعيداً عن بيضه، وعندما تذكره في المساء هلع وخاف لأنه أمسى بعيداً عنه، وينطلق بسرعة من أرض بعيدة، حتى يدرك بيضه ويطمئن.

٤ ـ الصقر:

الصقر طائر مشهور بقوته وسرعة انقضاضه على فريسته. ذو نظر حاد جداً. وقد استخدمه الشاعر كرمز في إبراز قوة حصان يركبه

(*) الديوان ـ ص ١٠٤.
(١) القراب: غلاف. اليرفئي: الظليم، وهو ذكر النعام. النقنق: اسم من أسماء الظليم.
(٢) تروح: راح هذا الظليم إلى بيضه في المساء. نطية: بعيدة.
(٣) يجول: من الجولان، أي الذهاب والمجيء. آفاق البلاد: نواحيها. مغرباً: مبعداً ذاهباً. تسحقه. تبعده وتذهب به.

الغلام الذي يساعده في رحلات الصيد، وقال فيه(*):

كـأن غُـلامي إذ عـلا حـالَ مَتْـنِـهِ
على ظهـر بـازٍ في السمـاء مُحَـلِّقِ(١)
رأى أرنـبـاً فـانقضَّ يـهـوي أمـامـه
إلـيـهـا وجَـلاَّهـا بـطرف مُـلَقْـلَقِ(٢)

٥ ـ الليل(*):

يقول في ذلك:

ولـيـلٍ كمـوج البحـر أرخى سُـدُولَـه
عـليّ بـأنـواع الهُـمـومِ ليـبـتـلي(٣)
فـقـلت لـه لـمّـا تَـمَـطّى بـصلبـه
وأردف أعـجـاز أو نـاء بـكَـلكَـلِ(٤)
ألا أيهـا الليـل الـطويـل ألا انـجلي
بصبح ومـا الإصبـاح فيـك بـأمثـلِ(٥)
فـيـا لـك من لـيـل كـأنّ نـجـومـه
بكـل مضـار الفتـل شـدت بيـذبـلِ(٦)

(* *) الديوان ص ١٠٦ ـ ١١٧.

(١) حال متنه: حال فرسه.

(٢) رأى أرنباً: أي الباز. يهوي: يدنو. ملقلق: حاد لا يفتر.

(٣) سدوله: ستوره. ليبتلي: ليختبر ما عنده من الصبر والجزع.

(٤) تمطى: امتد. ناء: نهض. الكلكل: الصدر.

(٥) انجلي: انكشف. الإصباح: ظهور الصباح.

(٦) المضار: الشديد الفتل. يذبل: اسم جبل.

كـأنّ الثـريـا علّقـتْ في مـصـامهـا
بـأمـراس كتـان إلى صم جنـدل[1]

إنّ الصورة هنا صورة ليل طويل لا نهاية له. إنه ليل الهموم والأحزان والكآبة. وظلمة الليل القاسية رمز ظلمة النفس المتعبة المرهقة من أحداث الحياة. ويخيل إليه أن الليل سيبتلعه ويخنقه، فيضرع إليه كي يخفف وطأة الكابوس عنه، وأن يسمح للضوء أن يأتي كي يعيد الطمأنينة إلى نفسه، ولكن الأمل في ذلك ضعيف لأن الليل ثبت بأمراس وحبال، حتى أصبح ثابت البنيان، وطيد الأركان لا أمل في زحزحته، ووقف أمامه دون حركة ولا حياة.

٦ ـ البرق والمطر والنبات:

ويشتمل هذا كله في قوله[*]:

أحـار تَـرَى بـرقـاً كـأنّ وميـضَـه
كَـلَمْـع اليـديـن في حـبِّي مُـكَـلَّلِ[2]
يـضيء سنـاه أو مـصـابيـح راهـب
أهـان السليط في الذُّبَـال المفتّلِ[3]

---

(١) مصام الثريا: مكانها الثابت. جندل: صخر.

(*) الديوان ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) أحار: يا حارث. الحبي: ماحَبا من السماء وهو العارض المرتفع.

(٣) السنا: الضوء. السليط: الزيت.

فعدتَ له وصحبتي بين حَامِرٍ
وبين إكامٍ بُعْدَ ما مُتَأمَّلِ [1]
وأضحى يَسُحُّ الماء عن كل فِيقَةٍ
يَكُبُّ على الأذقان دوح الكنهبلِ [2]

وتيماء لم يترك بها جذع نخلةٍ
ولا أُطُماً إلّا مَشِيداً بجندلِ [3]
كأن طمِيَّة المُجيْمرِ غُدْوَةً
من السَّيْلِ والغثاء فلكةُ مِغْزَلِ [4]

كأن أباناً من أفانين وَدْقِهِ
كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمَّلِ [5]
كأن سباعاً فيه غرقى غُدَيَّةً
بأرجائه القصوى أنابيشُ عُنْصُلِ [6]

---

(١) حامر: موضع في بلاد عطفان.

(٢) يسح: يصب. الفيقة: ما بين الحلبتين. الكنهبل: الشجر الكبير.

(٣) تيماء: من أمهات القرى: الأطم: البيت المسقف المسطح المبني بالحجارة والجص. جندل: صخر.

(٤) طمية: اسم جبل. المجيمر: أرض لبني فزارة. الغثاء: ما يحمله الماء.

(٥) أبان: جبل. أفانين: أنواع. الودق: المطر. البجاد: كساء مخطط. مزمل: ملتف.

(٦) غدية: في الصباح الباكر. العنصل: بصل بري يعمل منه خل. الأنابيش: ما يؤتى به من تحت الأرض.

عـلى قَـطَنٍ بـالشَّيمِ أيمنُ صَـوْبِـهِ
وأيسَـرُهُ على السِّتَـار فيـذْبُـلِ (١)
وألـقى بِبُسَيَـانٍ مَـعَ الليـل بَـرْكَـهُ
فـأنـزل منـه العُصْمَ من كـل منـزلِ (٢)

في هـذه الصورة نـراه جالسـاً مع صـاحبه الحـارث. وكـان السحاب قد غطى السماء وسد الأفق، وتراكم حتى كثف وثقل. فوجه صاحبنا الطرف إليه فإذا بالبرق يضيء بنوره الأرجاء، والرعد يصم الأفق والأنحاء. ثم تفتح السماء أفواهاً كالقـرب، ويهطل المطر بغزارة، وينـدفع السيـل بقوة وشـدة، إذ يقتلع من أمامـه الأشجار، ويهدم البيوت، ويزيـل المنازل، حتى الـوحوش في أماكنها وكهوفها خافت من شدة السيل، فتركت أوكارها وهربت إلى أمكنة بعيدة طالبة النجاة، لكن البعض منها مـات من شدة السيل وقوته خاصة السباع المشهورة بالسرعة والقوة. لكن للغيث فائدة هي إرواء الأرض الموات إذ تتحرك الحياة فيها وتتفرج عن أزاهير ورياض غناء.

ولا شك أن هذا الوصف للطبيعة يدل على قوة الملاحظة عند

---

(١) قطن: اسم جبل في بلاد بني أسد. الشيم: النظر إلى البرق والمـطر ليعلم مكانهما. الصوب: نزول المطر. الستار ويذبل: جبلان مما يلي البحرين.

(٢) بسيان: جبل. بركه: صدره. العصم: الأوعال، وهي تيوس الجبل. العصمة: بياض في أظلفة أيديها.

الشاعر، خاصة عندما يبرز لنا الصور الرقيقة لموصوفاته «وقد يكون كثير مما وصفه من ظواهر الطبيعة غير مقصود لذاته كتصويره للبقر الوحشي، فقد اتخذه وسيلة لبيان سرعة الحصان، والحمار الوحشي الذي بين به مدى قوة الناقة وسرعتها». وحديثه عن الصقر قد جاء لإظهار مدى القسوة في الانقضاض على الفريسة لديه ولدى حصان الصيد. وهذا التصوير ـ الرمز ـ يدل على فطنة وذكاء الشاعر ودقة الملاحظة وسرعة الخاطر لديه.

لكن تأثره في مظاهر الطبيعة لم يكن واحداً فيها كلها. فقد وصل بتصويره الحصان إلى مرتبة الغلو، إذ فاق فيه تصويره بقية الموصوفات من بقر وحشي وعقاب وصقر. وقد أبدع في تصويره الدقيق للبرق والمطر والغيث. فكانت جزئيات الوصف تجسيداً يكاد يكون حقيقياً وناطقاً، فيه الرقة، وحسن التعبير وقوة الملاحظة وروعة الانفعال.

الفخر عند امرىء القيس:

في ديوانه شعر قليل في الفخر، لا يمثل حالة عامة كما هي العادة عند بقية أو كثير من الشعراء، بل هو فخر شخصي إذا جاز التعبير. يتغنى فيه بنفسه تحت وطأة ظروف غير عادية. منها الإثارة والغضب، أو محنة، أو تهديد، أو ندم وتحسر.

فبعد أن حدثت العداوة بين كندة وأسد، امتطى راحلته، وسار

معجباً بنفسه فتغنى قائلاً:

عليهـا فتًى لـم تحـمِـلِ الأرض مِثْلَه
أبَـرَّ بـمـيـثـاقٍ وأوفـى واصْـبـرا[1]
هـو المنـزِلُ الآلافَ من جـوِّ نـاعط
بني أسَـدٍ حَـزْنـاً من الأرضِ أوعـرا[2]

ففي هذين البيتين يدعي الفتوة والقوة لنفسه فقط. وهو القادر على الوفاء بالمواثيق، والصبر والشجاعة.

وفي لحظة من لحظات الوجد وانفعالات الحزن والأسى، والحسرة والهم يقول عن نفسه:

قـد أقـطع الأرض وهـي قَـفْـرٌ
وصـاحـبـي بـازلٌ شِـمْـلالُ[3]
وغـائطٍ قـد قـطعـتُ وَحْـدِي
لـلقـلب مـن خـوفـه إجْـلالُ[4]
وغـارة قـد تَـلَبَّـبْـتُ بـهـا
كـأنَّ أسـرابـهـا الـرِّعَـالُ[5]

---

(١) عليها: أي على الناقة.

(٢) ناعط: حصن بأرض همدان. جَوّ: أرض باليمامة.

(٣) صاحبي: ناقته. شملال: سريعة.

(٤) الغائط: الأرض الواسعة. إجلال: رهبة وروعة.

(٥) تلبت بها: تحزمت وتشددت لها. أسرابها: قطعها. الرعال: الجماعة من الخيل.

كـأنـهـم خَـرْشَـفٌ مـبـثـوثٌ
بـالـجـوِّ إذ تـبـرُقُ الـنِّـعـالُ(١)
صـبـحـتُـهـا الـحـيَّ فـي غَـدوة
فـكـان أشـقـاهـم الـرِّجـالُ(٢)

فهو في هذه الأبيات يفخر بنفسه بأنه بطل صنديد، قوي فعّال. يجوب الفيافي والقفار وحيداً على ظهر ناقته القوية. وينزل في مواطن الغيث ويقود الغارات والمعارك الشعواء، فيقتل الرجال، ويسبي النساء والأطفال.

كل فخره كان يدور حول نفسه. وكما قلنا إنه فخر شخصي، ليس فيه أي ظاهرة قبلية أو فخر قبلي. فلم يفتخر بقبيلته وأحسابهم وأنسابهم وأمجادهم وبطولاتهم؛ لأن ذلك سمة ظاهرة في الشعر الجاهلي. ولم يرد في فخره أيضاً تلك الصفات التي تغنى بها الشعراء في فخرهم مثل الكرم والانفاق وإكرام الضيف وحسن معاملة الجار، والعفو عند المقدرة. إنه اهتم وركز على النواحي الشخصية في هذا المجال؛ لأن الصلة بينه وبين الآخرين كانت فاترة ومنقطعة خاصة إذا علمنا أنه طرد من قبيلته. كذلك لعب الميسر والتباهي بالسفه لم يرد في فخره. والخمر كذلك لم يهتم بها في شعره على غرار ما جاء عند الشعراء الجاهليين.

---

(١) الحرشف: الجراد. المبثوث: المتفرق.
(٢) أشقاهم الرجال: لأنهم يقتلون، أما النساء والأطفال فيسبون.

إن فخره كان متصلاً بميوله الذاتية كركوب الخيل لمغامرات المجون واللهو. لكن عندما تغيرت أحواله بدأ يشعر بالمسؤولية. وشعر بما يشعر به الرجال الطامحون إلى المجد. فافتخر بالقوة والشجاعة، كما رأينا في بعض النماذج.

المدح والذم في شعر امرىء القيس:

بعد حياة اللهو والمجون التي عاشها في فترة حياته الأولى. يدور الزمن وتحدث أحداث لأهله ولقبيلته. فتتحرك عنده مشاعر الحب والصلة التي تربطه بالناس. ويدرك أنه لا يستطيع البقاء في حالة المجون، وعليه واجبات تجاه الآخرين.

ولا بد من صلات تربطه بالآخرين، فهو واحد منهم، وهناك مصالح مشتركة بينه وبينهم. ومع هذا الاحتكاك وجد نفسه في بيئة جديدة، وفي شعور جديد. تمثل في شعره فخراً، وتذكراً للأمجاد. فسلك هذا الطريق، وكافح من أجل تحقيق أهدافه الخاصة والعامة. وعبر عن ذلك بقوله(*):

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ
كفاني، ولم أطلب، قليلٌ من المال
ولكنما أسعى لمجد مُؤَثَّلٍ
وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثلَ أمثالي(١)

(*) الديوان ص ١٢٩.

(١) المؤثل: الكثير، أو هو المثمر الذي له أصل.

فهمه الوحيد أن يعيش في أقل مستوى، أو عيشة فيها الكفاف، وعندئذٍ يكفيه قليل من المال. وبالمقابل فإنه مشدود إلى الرفعة والمعالي طلباً للأمجاد.

ونراه في موقف آخر يدعي أنه نال من بني أسد، فقال(*):

قــد قَــرَّتِ الــعيــنــان من مــالــك
ومـن بـنـي عـمـرو ومـن كـاهـل[1]
ومـن بـنـي غَـنْـم بـن دودان إذ
نـقـذف أعـلاهم عـلى الـسـافـل[2]
حـتـى تـركـنـاهـم لـدى مـعـرك
أرجـلهـم كـالـخشـب الشـائـل[3]

إنه يذم قبائل بني أسد ويصفهم بأنهم أذلاء، وأنه مصمم على إهلاكهم وإبادتهم. ثم يذكر أنه قد نال منهم بالفعل حتى قرت عيناه واستراح حينما أعمل بهم السيف وقتلهم، وتركهم منتفخي الأجسام والأرجل التي أصبحت كالخشب المرتفع فوق بعضه.

وتروي الأخبار أن امرأ القيس استجار هانيء بن مسعود بن عامر، فلم يجره وقال: أنا في دين الملك، فأتى سعد بن الضباب

(*) الديوان - ص ١٣٤.

(١) (٢) مالك وعمرو وكاهل وغنم: أحياء من بني أسد. نقذف أعلاهم على السافل: نكثر فيهم القتل.

(٣) معرك: ميدان القتال. الخشب الشائل: الذي ألقي بعضه على بعض فارتفع.

الإيادي فأجاره. فقال في ذم هانيء ومدح سعد(*):

لـعـمـرك مـا سـعـدٌ بِخُـلَّةِ آثـمٍ
ولا نـأنـاءٍ بيـوم الحفـاظ ولا حَصِـرْ(١)

يفـاكهنـا سعـد ويغـدو لجمعنـا
بمثنى الـزقـاق المتـرعـاتِ وبـالجُزُرْ(٢)

لـعمـري لَسعـدٌ حيث حلَّتْ ديـاره
أحبُّ إلينـا منك فـا فـرَسٍ حَمِـرْ(٣)

وتـعـرف فيـه مـن أبيـه شـمـائـلاً
ومن خـالـه ومن يـزيـد ومن حُجُـرْ(٤)

سـمـاحـة ذا وبـرٌّ ذا ووفـاء ذا
ونـائـل ذا إذا صـحـا وإذا سكـر(٥)

يقول عن هانيء ذامّاً إياه بقلة الخير، وليس فيه مظهر من النصحة والمروءة، ويمدح سعداً بالوفاء وحسن الصحبة، وسعة

(*) الديوان - ص ٧٤.

(١) الخلة: الصداقة والمودة. نأناء: ضعيف مقصر. الحصر: الضيق الصدر.

(٢) يفاكهنا: يمازحنا ويبسطنا. بمثنى الزقاق: يجيء برقاق الخمر مرة بعد مرة المترعات: المملوءات. الجزر: وهي الناقة التي تذبح.

(٣) فا فرس: فم فرس. حمر: نتن فوه.

(٤) شمائل: خلائق وطبائع.

(٥) إذا صحا وإذا سكر: يعني يجمع صفات السماحة والبر والوفاء والجود في حالتي صحوه وسكره.

الصدر، وكرم العشرة، ورخاء العيش وطيب الأصل، والحقيقة أن ما ورد عنده في المدح والذم أبيات معدودات وليس فيها ما يصل إلى أن يكون قصيدة مكتملة بموضوع من هذه الموضوعات.

الشكوى والتحسر في شعر امرىء القيس:

الشكوى والتحسر موضوعان من الموضوعات الإنسانية المتصلة بالذات البشرية. والإنسان بطبعه مجبول ولو بشكل فطري على ما نسميه العاطفة، حيث الأحاسيس تثور وتخبو نتيجة موقف ما. فنراها عند الشاعر قد اهتزت وثارت بعد التجربة القاسية التي تعرض لها إثر مقتل أبيه على يد بني أسد. وقد اعتبرنا أن تلك الحادثة بمثابة صدمة أعادت الوعي الإنساني الشامل للشاعر بعد فقده لفترة من الزمن، عنيت بها فترة الشباب حيث اللهو والمجون.

وبعد تلك الصدمة ظهرت له حقائق الحياة، حقائق لم يدركها في السابق، وبدأ ظهوره على المسرح بشكل يوحي بالثقة خاصة عندما تحمل المشقة والصعاب من أجل الأخذ بالثأر من قتلة والده. تلك الحادثة جعلته يتصل بالناس أفراداً وجماعات، ويختبرها حتى أصبحت لديه قناعات جديدة عن الحياة تمثلت تلك الحقائق في كثير من شعره. وفي هذه الفترة يوازن الشاعر بين حقبتين من الزمن: الحقبة الأولى حيث اللهو والمجون، والفترة

الثانية حيث العمل والجد، خاصة بعدما شعر بوطأة الزمن وطبيعته المختلفة(*).

ألا أنمـا الـدهـرُ ليـالٍ وأعـصُـرُ
وليس على شيء قـويمٍ بـمستمِـرّ(1)

ويتذكر في لحظة من لحظات الوجد ما حلّ به وبقومه من كوارث وفواجع إذ كان قد بكى جماعة من قومه قتلوا في ديار بني مرينا. فيقول(*):

ألا يـا عـيـنِ بَـكِّي لـي شنـيـنـا
وبَـكِّي لـي الـملوك الـذاهـبـيـنـا(2)
مـلوكـاً من بـنـي حـجـر بن عـمـرو
يـسـاقـون الـعشـيـة يـقـتـلونـا
فـلو فـي يـوم مـعـركـة أصيـبـوا
ولـكـن فـي ديـار بـنـي مـريـنـا(3)

وبعد مشواره الطويل بين الأحياء والقبائل، باحثاً، وسائلاً، ومستنجداً تنكشف له حقائق الناس والحياة، ويحس بوطأة وثقل الزمن، وأصبح لا يلقى ما يسره «وكلما صاحب إنساناً ووثق به،

(* *) الديوان ـ ص ٧٣ ـ ١٦٩.
(1) قويم: مستقيم. مستمر: دائم مطرد.
(2) شنينا: الصب.
(3) بنو مرينا: قوم من أهل الحيرة.

ورجا منه حسن الصحبة والاخلاص له، وجد منه عند الاختبار ما لا يرضاه» فيستبدله بآخر، ولكنه لا يجد اللاحق خيراً من السابق، وهنا تبرز له حقائق الحياة بكل صورها. فيقول:

أرانا مُوضِعِين لأمرِ غَيب
ونُسْحَر بالطعام وبالشَّراب[1]
عصافيرٌ وذبانٌ ودودٌ
وأجرأ مِنْ مُجلَّحَةِ الذِّئاب[2]
وكل مكارم الأخلاق صارتْ
إليه همَّتي وبه اكتسابي[3]
فبعض اللوم عاذلتي فإني
ستكفيني التجاربُ وانتسابي[4]
إلى عرق الثرى وَشَجَتْ عروقي
وهذا الموت يلبسني شبابي[5]

---

(١) موضعين: مسرعين. لأمر غيب: شيء غاب عنا أي مجهول. نسحر: نخدع.

(٢) مجلحة: مصممة على الشيء.

(٣) همتي: عزيمتي. اكتسابي: سعيي وعملي.

(٤) بعض اللوم: خففي اللوم وأقلي منه. العاذلة: من توجه اللوم، ولعله يقصد خطوب الزمان.

(٥) وشجت عروقي: اشتبكت وتعلقت. إلى عرق الثرى وشجت عروقي: يقصد أنه من التراب وإلى التراب سيعود.

ونفسي سوف يسلُبها وجرمي
فَيُلْحِقُني وشيكاً بالتراب[1]
ألم أنضي المطِيَّ بكلِّ خَرْقٍ
أَمَقِّ الطُّول لمَّاع السراب[2]
وأركب في اللّهَام المجْرَ حتى
أنالَ مآكلَ القُحَم الرِّغَاب[3]
وقد طوفتُ في الآفاق حتى
رضيتُ من الغنيمة بالإياب[4]
أَبَعْدَ الحارث الملكِ ابن عمرو
وبعد الخير حُجرٍ ذي القباب[5]
أرَجّي من صروفِ الدهر ليناً
ولم تَغفُلْ عن الصُّمِّ الصِّلاب[6]
وأعلم أنني عمّا قليلٍ
سأنشَبُ في شَبَا ظُفْرٍ وناب[7]

---

(١) الجرم: البدن، الجسم. وشيكاً: سريعاً.

(٢) أنضي: أهزل. المطي: ما يركب من الحيوانات. خرق: فلاة.

(٣) اللهام: الجيش الكثير الذي يخفي كل شيء ويلتهمه،المجر:الكثير الضخم، القحم: جمع قحمة وهي الضخمة.

(٤) طوفت: أكثرت الطواف والتنقل في نواحي الأرض. الإياب: الرجوع.

(٥) الحارث بن عمرو: جده. حجربن الحارث: أبوه. القباب: الأبنية الضخمة.

(٦) صروف الدهر: نكبات الدهر. أرجي: أتوقع. الصلاب: الصلبة.

(٧) شبا: حد. أنشب: يعلق ويثبت. يقصد بالأظفار والناب المنية.

كـمـا لاقـى أبـي حُـجْـرٌ وَجـدِّي
ولا أنـسـى قـتـيـلاً بـالـكـلاب[1]

إنه يحاول أن يتمثل الفلسفة، ولكنه لا يجيدها كما جاءت عند ـ زهير ـ وطرفة. والمهم أنه يطرق باب الوجود ويصل إلى قناعة عامة أن الناس وكل المخلوقات يسيرون إلى نهاية حتمية هي الموت. وما الحياة إلا زينة لا تلبث أن تذوي تحت تأثير ضربات الزمن. بعد هذا يدعي أنه عمل كل ما بوسعه من جهد لاكتساب المجد. ويعلم أن مصيره إلى التراب، فهو في الأصل منه، وفي النهاية إليه. وسيوافيه أجله عمّا قليل، فيسلبه القوة والعزة، ويلحقه بأصله. وهنا نرى البأس يتسرب إلى نفسية الشاعر، ويقطع الأمل في تحقيق أمانيه، ويقفل راجعاً من محاولاته، راضياً من الغنيمة بالإياب إلى أهله وعشيرته من دون فائدة ولا نجاح. ويصمم على انتظار نهايته الحتمية، ونهاية كل مخلوق. تلك النهاية التي أدركها أبوه وجده وأعمامه من قبله.

إنها الحياة هموم تتصل بهموم، وعلى الإنسان العاقل أن يستوعب مواقف الزمن، وأحداثه. ولكن الحزن البشري لا يمكن أن ينفي من النفوس التواقة إلى المعالي والرفعة. وهذه هي حال الشاعر الذي يبحث عن صديق يسلي عنه بعض همومه وأحزانه فلا يجده. ويجول بخاطره في دروب الزمن باحثاً عن الحقيقة بين

---

(١) قتيل الكلاب: عمه شرحبيل.

المتناقضات فيرتمي مرهقاً متعباً من كثرة التفكير إذ أنه لا يجد جواباً شافياً لكل تناقضات الحياة، وهي بحد ذاتها تناقضات النفس البشرية. ويقول في هذا شاكياً متحسراً(*):

مَنْ هُنَا لي مِن صديق فَلْيَعُدْ
لِيعُدْني إنني اليومَ كَمِدْ(١)
مِنْ خُطوب تركتني قلقاً
قَلَقَ المِحْوَرِ بالكتُّ المسَدْ(٢)
بيتتني بهموم شُرَّع
خلستْ نومي وأحْذتني السُّهدْ(٣)
ليت شعري ولِلَيْتِ نبوةً
أين صار الروح إذ بان الجسدْ(٤)
بينما المرءُ شهابٌ ثاقب
ضرب الدهر سناه فخمدْ(٥)
وَلَبيْنَا المرءُ يهوي قُدُماً
أفسد الدهر غناه فَفَسدْ(٦)

(*) الديوان ص ١٥٧ .
(١) فليعد: فليأت. ليعدني: ليزرني ويواسيني. كمد: حزن.
(٢) الخطوب: الأحداث. المسد: الحبل. الكت: الصوف.
(٣) شُرَّع: واردات. خلست: استلبت. أحذتني: منحتني.
(٤) نبوة: ارتفاع. بان: انقطع. الروح: يذكر ويؤنث.
(٥) الشهاب: الضوء. ثاقب: ملتهب. خمد: انطفأ.
(٦) يهوي: يجري في عيشه. قدماً: متقدماً مسرعاً.

وبجهد يتنضى عَيْشَهُ
عاضَهُ الدهر ثراء فمجدْ [1]
لا يَضُرُّ العجزُ ذا الجدّ ولا
يَنْفَع المحروم إيضاع وكدْ [2]
ناعمٌ في أهله ذو غِبْطَة
وَمناصٍ عيش سوءٍ في كَبَدْ [3]
ركبَ اللُّجَّ إنّى اللج إلى
غمرات البحر ذي الموت الأشد [4]
حين أرسى كلُّ من يعرفه
وارتمى الآذي منه بالزبد [5]
عاجز الحيلة مسترخي القوى
جاءه الدهر بمالٍ وولد [6]
ولبيبٌ أيِّد ذو حيلة
مُحكَمُ المِرَّةِ مأمون العُقَد [7]

---

(١) بجهد: بمشقة. يتنضى عيشه: يستله ويحتال في تخلصه لنفسه. مجد: ترف وارتفع.

(٢) العجز: الضعف وقلة الحيلة. الجد: الحظ والبخت. كد: تعب.

(٣) ناعم في أهله: هادىء مطمئن، يعيش في نعمة بينهم. كبد: شدة.

(٤) اللج: أمواج البحر. غمرات: الشدائد.

(٥) أرسى: ثبت. ارتمى الأذي: رمى بعضه بعضاً. والآذي: الموج.

(٦) القوى: جمع قوة، وهو الطاقة من الحبل أو الخيط.

(٧) لبيب: عاقل. واللب: خالص العقل. أيِّد: شديد. المرة: شدة الفتل.

خَصَّه الدهرُ وغطى حزمه
وانتضاه من عبيد وسبد[1]

إنه يبحث عن صديق يواسيه في أزمته وأحداثه المأساوية فلا يجد ذلك الصديق. فلزمته الهموم والأحزان. ويسرح بخاطره في هذا الزمن وفي أحوال الناس، فيجد نفسه في حيرة بين المتناقضات وغرائب لا يستطيع فهمها، ولا يجد تعليلاً لها. ويتمنى أن يعرف شيئاً عن حقيقتها: أين تصير الروح حين تفارق الجسد؟ وقد يكون الإنسان في ريعان الشباب والقوة والفتوة، وفجأة ينتهي ويرحل بعيداً إلى عالم آخر. ويجد المتناقضات تلف الحياة قوة وأمل وضعف وحزن. فقر وثراء. قوم ناعمون هادئون، وآخرون أشقياء يائسون وركب الحياة يسير بالناس في بحور عميقة الغور متلاطمة الأمواج، بعض ترسو سفنه بطمأنينة، وبعض يذهب في اللجج، وغبي يعيش في ترف العيش، وذكي يبقى في البؤس والفاقة والحرمان.

هذه التأملات تدل على نفسية متعبة، مضطربة بائسة، يائسة، تنكرت لها الحياة وتغيرت بها الأحوال، حتى ضلت في سعيها، وخابت آمالها. كل ما قاله في هذا المجال يدلنا على حالة نفسية متعبة، بحثت عن المجد، ورست في نهاية الأمر على الرمال

---

(١) حصه: أسقط عنه ماله. انتضاه: سلّه وأخرجه. سبد: شعر، ويقصد هنا جميع المال.

المتحركة، فالتهمتها الرمال، وانهارت تحت وطأة الهموم الكثيرة.

اسلوبه وخصائصه العامة:

قال ابن رشيق: «وقد قال العلماء بالشعر: إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوه، ولكنه سبق إلى أشياء، فاستحسنها الشعراء، واتبعوه فيها لأنه قيل أول من لطف المعاني، واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعِصيّ، وفرّق بين النسيب وما سواه من القصيد، وقرب مآخذ الكلام، فقيد الأوابد، وأجاد الاستعارة والتشبيه» وهذا مأخوذ من ابن سلام إذ قال: «فاحتج لامريء القيس من يقدمه، وليس أنه قال ما لم يقولوا، ولكن سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب، واتبعه فيها الشعراء، منها استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض، والخيل بالعقبان والعصي. وقيد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى، وكان أحسن طبقته تشبيهاً».

وهناك آراء كثيرة للنقاد القدامى، تعتبر امرأ القيس أكثر المولدين والمبتكرين للمعاني. إذ اعتبره ابن رشيق «من وصافيّ الخيل» غوضاً عن الغزل والنسيب وغير ذلك من الموضوعات التي أتينا على ذكرها في مجال كتابتنا عن امريء القيس.

وأول ما يستوقفنا في شعر امرئ القيس:

١ ـ التشبيه: وهو كثير في شعره. مثل:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال. وهذا تشبيه شيء بشيء.

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي

وهنا في هذا البيت تشبيه شيئين بشيئين.

وكذلك يبرز التشبيه في موضع آخر:

له أيطلا ظبي، وساقا نعامة
وإرخاء سرحان، وتقريب تتفل

فشبه أربعة بأربعة بدون أداة التشبيه.

٢ ـ الاستعارة: ويبرز في قوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليّ كأمواج الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فاستعار لليل سدولاً يرخيها، وصلباً يتمطى به، وأعجازاً

يردفها، وكلكلاً ينوء به. وقال الروماني: «الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة ببيان لا تنوب منابة الحقيقة كقول امرىء القيس: «قيد الأوابد».

ومن الاستعارة ـ المماثلة ـ كما يقول ابن رشيق: «ومن ضروب الاستعارة التمثيل، وهو المماثلة عند بعضهم، وذلك بأن تمثل شيئاً بشيء فيه استعارة نحو قول امريء القيس. وهو أول من ابتكره، ولم يأت أملح منه:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
بسهميك في أعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بسهمي الميسر، يعني المعلَّى وله سبعة أنصباء، والرقيب وله ثلاثة أنصباء، فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثّل بهما عينيها. ومثّل قلبه بأعشار الجزور. فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل».

٣ ـ الكناية: كقوله:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل

فقد كنى بالبيضة عن المرأة.

٤ ـ الطباق: كقوله:

مكر، مفر، مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطّه السيل من عل

٥ ـ **الجناس**: مثل:

بــلاد عــريــضــة، وأرض أريــضــة
مــدافــع غــيــث فــي فــضــاء عــريض

ويظهر الجناس في «عريضة وأريضة».

٦ ـ **المبالغة**: وهي عند أبي هلال العسكري: «أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته. ولا تقتصر في العبارة منه على أدنى منازله. وأقرب مراتبه». ومنها:

من القـاصرات الـطرف لـو دبَّ مُحـول
مـن الــدرِّ فــوق الأتب مـنـهــا لأثــرا

إن ديوان امرىء القيس مليء بالمحسنات الجمالية والبلاغية. وهذه النماذج للدلالة فقط على تلك الموضوعات الجمالية التي جاءت في ثنايا القصائد المهمة.

وبالرغم من تعصب بعض النقاد لامريء القيس، فإن بعضهم الآخر وقع على أخطاء وعيوب عنده.

ومن أهم هذه العيوب:

الخلاعة والمجون: قال ابن سلام: «وكان من الشعراء من يتألّه في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء، ومنهم من كان ينعى على نفسه، ويتعهر، ومنهم امرؤ القيس والأعشى».

وقال ابن قتيبة: «وكان هذا العيب وصمة في جبين الشعر العربي عامة، إذ كان امرؤ القيس في طليعة أربابه».

لكن الواقع الذي انطلق منه النقاد يعاكس فهم التربية التي عاشها الشاعر، والتي أثرت في نفسيته، وفي شعره، إنه عاش مدللاً على هواه بين اللهو واللعب والعبث، فكانت هذه الأقانيم سمة من سمات التربية الأولى، فطبعت نفسه وشعره بهذا الثالوث.

لكن الشعر يبقى شعراً وإن كان في موضوعات كهذه شرط أن يجيد الشاعر القول والتصوير، والتعبير الصادق في موضوعاته المختلطة. وهذا ما نجده في شعر الأمير الملهم. وهذا العيب الذي تسلح به القدماء ما هو إلاّ من جانب واحد، ألا وهو الجانب الأخلاقي. وهذا حكم مسبق على قول ما. وهنا يكمن الخطأ لأن جمال الشعر عنده كان في مستوى رفيع جداً وهذا ما جعل علماء البصرة يتمثلون بشعر امريء القيس ويهتمون به. ونحن بدورنا نحكم على الكلمة، على القول، وليس على تصرفات الإنسان.

وقد عاب بعض النقاد على امرىء القيس بعض المعنى حينما قال:

أغرك مني أنّ حبك قاتلي
وأنك مهما تأمري القلب يفعل

ويتراءى لي أن المحب ـ كالشاعر ـ عليه أن يتودد للمحبوب بهذا الكلام وبهذه المعاني.

ونقف عند أقوال النقاد، لنجد أن معظمها أحكام عامة مثل هو: شاعر اليمن، وأشعر شعراء الجاهلية، أشعر الناس، أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة.

والبعض الآخر فضله لجزئية من الجزئيات، واعتبر تلك الجزئيات من الابتكارات والاختراعات والتوليدات. وهناك من وقف ضد هذا الشعر لما يتضمن من خلاعة وعيوب أخلاقية. لكن الحقيقة تبقى بين المؤيد والرافض. إن اهتمام الفئتين من النقاد ما هو إلا دليل راسخ على أهمية شاعرنا الكبير.

إنّ نماذج امرىء القيس الشعرية مأخوذة من أحوال الإنسان والطبيعة ومظاهر البيئة المختلفة. لذلك نرى صوراً مختلفة من ألوان الحياة في عصره. كما نرى كثيراً من مظاهر الطبيعة الصحراوية. وعلى العموم فإن الصور الكثيرة والمختلفة التي رأينا منها الكثير في شعر امرىء القيس تدل على ذكاء وفطنة وقوة ملاحظة لدى الشاعر. إنه فنان صادق نقل المناظر واللوحات كما رآها في إبداع حتى جاء شعره رائعاً. موشياً بحس رقيق، وشعور مرهف.

أما الجانب النفسي فكان للشاعر نصيب كبير فيه، خاصة عندما واجهته الحياة بكل قسوتها، حيث يبلغ قمة شكوه وتحسره بعد

فشله في تحقيق أمنياته. في هذا الجانب تتجلى النفس الحائرة التي أحاط بها البؤس والشقاء، وحاصرها الهم واليأس. إنه إحباط الزمن، يرفع من يريد، ويذل من يريد، إنه نفس حائرة بعدما اصطدمت بحقائق مرة لم يكن يعرفها في فترة حياته الأولى. لقد ضاع أمله بضياع قومه، وهجرة الأعوان من حوله فتضعضع شأنه، وبالنهاية استسلم. وكانت في كل لحظة تعاوده لحظات أيامه الأولى، وذكريات الماضي الجميل، لكنها تعود لتختلط بأنين الحاضر وأزماته المؤلمة. فكان شعره يمثل مرحلة القلق النفسي والاضطراب الذي لا حد له ولا حدود.

أما التعبير تلك الوسيلة التي اتخذها الشاعر ليترجم ما كان يجيش في صدره من عواطف وانفعالات. وحاول أن تكون تلك الترجمة معبرة عن شعوره ونفسه في صورة جلية واضحة ورائعة.

والمعروف أن الفنون الجميلة تستعمل وسائل متعددة ومختلفة في التعبير لكن الأدب يستعمل وسيلة واحدة هي الألفاظ والعبارات والمعاني. أضف إلى ذلك الموسيقى والرنين الذي نسميه الجرس الموحي، الذي يحمل الوجدان على أجنحة الكلمات. وحتى يكتب للأدب البقاء والاستمرار يجب أن تتلاقى الموهبة مع الوسائل لتشكل عملاً فنياً متقناً بدقة.

والأدب بحد ذاته يستعمل تعبيرات مختلفة. فللشعر تعبيره، وللنثر كذلك. ولقد عرض امرؤ القيس فنه بشكل صور لونتها

عـاطفة فنـان ارتقى في فضـاء الشعـر الـرحب حتى بلغ أقصى المـرامي، بما استلهمـه من الطبيعـة والحيـاة من أمـور ورمـوز وموضوعات، حركت شعوره وأثارت عاطفته، فاكتملت الحالـة عنده، وكان شعره ركيزة وقاعدة ومنطلقاً.

وبعد التحليل الذي أتينا عليه، واستعرضنا فيه أفكار امريء القيس وصوره الكثيرة والمتنوعة. يمكننا أن نقول إنه امتلك زمام وسيلة التعبير الأدبي حينما يكون المجال ملائماً لميوله وطبيعته. والحقيقة أن التعبير كان يستعصي عليه إذا حاول أن يسير في غير اتجاهه الطبيعي.

وهذا التعبير عنده يساعدنا على عملية الكشف، كشف نفسية الشـاعر وشخصيته المتصلة بموضـوعـات مختلفـة كمـوضـوع المـرأة والصيد والطرد والشكوى والتحسر. وهذه الموضوعات كانت تلائم طبيعة الشاعر فجاءت رائعة جميلة، بعكس المدح والذم والتهديد والـوعيد والحرب والفخـر، التي جاءت بشكـل عرضي عنده مما يدل أن هـذه الموضـوعات بعيـدة عن نفسيته وحياته.

ومهما يكن من أمر فإن التعبير الفني عند امريء القيس يبين أن الشاعر يملك ملكة لغوية، وثروة كبيرة من الألفاظ والعبارات التي يجيد التصرف بهـا، ويحسن رصفها وصنعها في دقة وإحكـام. أضف إلى ذلـك دقة الحس عنـده، ورهافـة الشعـور، وتنـظيم

موسيقي بلغ الجمال والأناقة. ونلاحظ حسن اختياره للألفاظ والعبارات حين استعملها في مواضعها الأصيلة والصحيحة ـ إلاّ في أماكن نادرة ـ.

فألفاظه تدل على سمو هذا الشاعر في فنه، فهي سهلة، سلسلة قوية، تؤدي المعنى، وتفيد المقصود في سهولة ويسر. وهي قريبة إلى الفهم إذ لا يجد السامع أو القاريء عناء كبيراً في معرفة معانيها، لأنها ألفاظ عربية لانزال نستعمل معظمها حتى عصرنا الحاضر بالرغم من البعد الزمني بيننا وبين امريء القيس، أو العصر الجاهلي الذي هو أحد رواده.

أما من حيث التعبير عن أفكاره في موضوع أو موضوعات فهي تتشابه في طريقة العرض. ففي الموضوع الواحد كانت قصائده قصيرة تتراوح بين بيتين ولا تتجاوز تسعة أبيات. وفيها يعرض الشاعر موضوعاً واحداً قد يكون مدحاً، أو هجاء، أو تهديداً، أو رثاء، أو وصفاً لمنظر، أو تعبيراً واستجابة لحالة نفسية طارئة.

أما القصائد الطوال فهي عرض لأفكار متعددة وموضوعات مختلفة. والملاحظ أن الشاعر كان يسير فيها وفق منهج واحد، وخطة واحدة، يكشف فيها عن نفسيته، وأحواله، وطبيعته المتأثرة بكل ما يحيط بها. فكان يبدأ بماديات وقع عليها نظره، وينطلق بعدها ليعبر عمّا تختلج نفسه. أما الماديات فهي الوقوف على الأطلال، والمغامرات والوصف، والأفكار النفسية كانت في

موضوع التحسر والشكوى. وكانت الأطلال بحد ذاتها تثير نفسية الشاعر. فتفيض شاعريته وينتج عنها شعر جميل متعدد الموضوعات.

إنه شاعر منسجم مع نفسه، استعمل التعبير بما يتوافق مع نفسه وطبيعته وحسه. فجاءت الألفاظ والتعابير محملة بتنويع من الموسيقى والتنظيم والايقاع. ويدل هذا على سعة أفق الشاعر، ورهافة حسه، ورقة شعوره وقوة شاعريته في الصياغة والخلق والعرض.

المعلّقة

قفـا نَبْـكِ من ذكـرى حبيبٍ ومنـزلِ
بسِقْط اللّوى بين الدُّخولِ فحَومَلِ[1]
فتُـوضِحَ فـالمقراةِ لم يَعْفُ رسمهـا
لمـا نسجتهـا من جنـوبٍ وشمـألِ[2]
تـرى بعـر الأرآم في عـرصـاتهـا
وقيعـانهـا كـأنـه حبُّ فلفـلِ[3]
كـأني غـداةَ البيـن يـومَ تحمـلوا
لـدى سمرات الحيِّ نـاقفُ حنظلِ[4]

(١) السقط: الرمل المنقطع. اللوى: الرمل الذي يتلوى ويعوج. الدخول فحومل: هما موضعان.

(٢) فتوضح فالمقراة: موضعان. لم يعف رسمها: لم ينمح أثرها.

(٣) العرصات: الساحات.

(٤) غداة البين: صبيحة الفراق. تحملوا: ارتحلوا. السمرات: نوع من الشجر. ناقف حنظل: شديد المرورة.

وقــوفــاً بـهــا صحبي عـليَّ مَـطِيَّهـمُ
يقــولــون لا تَهلِك أسًى، وتجمَّــلِ[1]
وإنَّ شــفــائــي عــبـرة مُــهــراقــةٌ
فهــل عنــد رسم دارس من معــوَّلِ[2]
كــدابــك مـن أُمّ الحُـوَيــرِثِ قـبلهــا
وجــارتهــا أُمّ الــرَّبــابِ بمــأسَــلِ[3]
إذا قــامتــا تضــوَّع المِســكُ منهـمـا
نسيم الصَّبا جاءت بـرَيّـا القَــرَنفُـلِ[4]
ففــاضت دمــوع العين منّي صبـابــةً
على النحــر حتى بـلَّ دمعي مِحمَلي[5]
ألا رُبَّ يــوم لــك منهُــنّ صَــالــح
ولا سيَّمــا يــومٌ بــدارةِ جُــلْجــلِ[6]
ويــوم عَـقَــرْتُ لـلعــذارى مَـطيَّـتي
فيــا عَجَبــاً من رَحْلهــا المتحــمَّلِ[7]

---

(١) المطي: الإبل. تجمل: تحمل، وتجلد.

(٢) العبرة: الدمعة.

(٣) كدأبك: كعادتك، أم الحويرث وأم الرباب: من صاحباته. مأسل: اسم ماء.

(٤) تضوع: فاح وانتشر.

(٥) الصبابة: الشوق الرقيق. النحر: الصدر والعنق. المحمل: حمالة السيف.

(٦) دارة جلجل: موضع بالحمى له فيه قصة. ويروى أنه غدير ماء لقي فيه امرؤ القيس محبوبته عنيزة.

(٧) عقرت: نحرت. العذارى: البكر.

ويـا عجبـاً مِنْ حلّهـا بـعـد رحيلها
وبـا عَـجَبـاً لـلجـازر الـمتـبـذِّل[1]
فـظلّ الـعَـذَارى يـرْتمينَ بـلحمـهـا
وشحم كهُـدّاب الـدِّمقْس المفتـل[2]
تـدَارُ علينـا بـالسّـديفِ صحـافُنَـا
ويُـؤتى إلـينـا بـالـعبيط المثـمّـل[3]
ويـومَ دخـلتُ الخِـدْرَ خـدرَ عُـنيـزة
فقـالت لك الـويـلات إنـك مُرجلي[4]
تـقُـولُ وقـدْ مـالَ الغـبيطُ بـنـا معـاً
عَقـرْتَ بعيري يـا امرأ القيس فـانـزل[5]
فـقلت لـهـا سيـري وأرخـي زمَـامَـه
ولا تُبْعـديـني عـن جنـاك الـمعـلّل[6]
دعِي البكْـرَ لا تـرثي لـه من ردافنـا
وهـاتي أذيقينـا جـنـاةَ القَـرَنْـفـل[7]

(١) إنه يعجب من حالته معهن.

(٢) الهداب: اسم لما استرسل من ثوب أو شعر. الدمقس: الابريسم الأبيض.

(٣) السديف: لحم السنام. العبيط المثمل: اللحم الطري.

(٤) الخدر: الهودج. مرجلي: أمشي على رجليّ، غير راكبة.

(٥) الغبيط: الهودج ذاته هنا. عقرت بعيري: جرحته.

(٦) الجنى: الثمر. ويعني هنا اقتطاف حمرة خديها بالقبل. المعلل: الذي علل بالطيب.

(٧) أذيقينا جناة القرنفل: علينا برائحة فمك التي تشبه زهر الطيب. ويشك في نسبة هذا البيت إلى معلقة امرىء القيس.

بـثـغـرٍ كـمـثـل الأقـحـوان مُـنـوّر
نَقِيِّ الثّنـايـا أشـنبَ غـيـرَ أثْعـلِ (١)
فمثلك حبلى قـدْ طـرقتُ ومـرضـعٍ
فـألهيتُهـا عن ذي تمـائم محـوَل(٢)
إذا مـا بكى من خلفها انصـرفتْ لـه
بـشقٍّ وتـحتي شِقُّـهـا لـم يُـحـوّل(٣)
ويـومـاً على ظهـر الكثيب تـعـذّرتْ
عـليَّ وآلـتْ حَـلْـفـة لـم تحـلّل(٤)
أفَـاطمَ مهـلاً بـعضَ هـذا التّـدلُّـل
وإنْ كنت قد أزمعت صرمي فـأجملي(٥)
وإنْ كنت قـد سـاءتـك منّي خـليقـةٌ
فسُلّي ثيـابي من ثيـابـك تـنـسلي(٦)
أغـرّكِ مـنّـي أنّ حُـبّـك قـاتـلي
وأنـك مهمـا تـأمري القلبَ يَفْعَـلِ(٧)

---

(١) أشنب : صافي الريق، رقيقه. غير أثعل: لم تتراكب أسنانه.

(٢) ذو تمائم محول: طفل رضيع عمره سنة أو حول.

(٣) بشق: بقسم من جسدها.

(٤) الكثيب: الرمل المرتفع. تعذرت: امتنعت واعتذرت. وآلت: أقسمت. لم تحلل: جعلت يمينها قاطعاً.

(٥) التدلل: الدلال. أزمعت: عزمت وقررت. صرمي: هجري.

(٦) ساءتك: آذتك. خليقة: طبيعة. ثيابي: كناية عن قلبه. تنسل: تخرج.

(٧) أغرك: أحملك على الاغترار بي أن حبك قد برح بي حتى كاد يقتلني.

وأنـك قَـسّـمـتِ الـفـؤاد فَـنـصـفُـهُ
قتيـلٌ ونصفٌ في حـديـد مكبّل[1]
ومـا ذرفتْ عيـنـاك إلاّ لـتـضـربي
بسهْمِـك في أعْشـار قلب مـقتّـل[2]
وبـيـضـة خـدْر لا يـرامُ خـبـاؤهـا
تمتّعت من لهـو بهـا غيـر معجَـل[3]
تجـاوزت أحـراسـاً إليهـا ومعـشـراً
عليَّ حِـراصـاً لـو يسـرُّون مقتلي[4]
إذا مـا الثريـا في السّمـاءِ تعـرّضتْ
تعـرُّضَ أثنـاء الـوشـاح المفصّـل[5]
فـجئتُ وقـدْ نـضَتْ لـنـوم ثـيـابهـا
لـدى السِّتْـر إلاّ لِبْسـة المتـفضّـل[6]
فـقـالتْ: يـمـينُ الله مـالـكَ حـيـلَةٌ
ومـا إنْ أرى عنـك الغـواية تنجلي[7]

(١) ونصف في حديد: هو النصف الواقع بأشراك حبها.
(٢) ذرفت: دمعت. بسهميك: بعينيك. أعشار قلب: أجزاءه.
(٣) وبيضة خدر: امرأة مصونة في خدرها. معجل: غير خائف.
(٤) تجاوزت أحراساً: مررت بحراسها وأهلها الحريصين على قتلي لو استطاعوا ذلك. الحراص: جمع حريص.
(٥) الثريا: الجوزاء. الأثناء: النواحي. يقول: تجاوزن إليها في وقت إبداء الثريا عرضها بالسماء كإبداء الوشاح الذي فصل بين جواهره وخرزه بالذهب.
(٦) نضت: خلعت. المتفضل: الذي يرتدي ثوباً واحداً.
(٧) اليمين: القسم. الغواية: الضلال. الانجلاء: الانكشاف.

خـرجـتُ بهـا أمشـي تـجـرُّ وراءنـا
على أثـرينا ذيـل مِـرْط مـرجـل[1]
فلمـا أجـزنـا سـاحـة الحيِّ وانتحى
بنـا بـطن خَبتٍ ذي حِقـاف عقنقـل[2]
هَصَـرتُ بـفـودي رأسـهـا فتمـايلتْ
عليَّ هضيم الكشح ريّـا المخلخـل[3]
إذا التفتت نـحـوي تضـوع ريـحهـا
نسيم الصّبا جاءتْ بـريّـا القـرنفـل[4]
إذا قـلتُ هـاتي نـوُليـني تـمـايلتْ
عليَّ هضيم الكشْح ريّـا المخلخـل[5]
مـهفـهفـةٌ بـيضـاءُ غـيـرُ مُـفَـاضـة
تـرائبهـا مصقـولـةٌ كـالسّجَنْجـل[6]

---

(١) المرط: ثوب يشبه الملاءة. مرجل: المنقش بنقوش تشبه رحال الإبل.

(٢) أجزنا: قطعنا. انتحى: مال واعترض. البطن: مكان مطمئن حوله أماكن مرتفعة. والخبت: أرض مطمئنة. الحقف: الرمل المشرف المعوج.

(٣) هصرت: جذبت. الفودان: جانبا الرأس. هضيم الكشح: ضامرة الوسط. المخلخل: يعني الساق وهو مكان الخلخال.

(٤) تضوع: فاح وانتشر. ريا القرنفل: ريح زهر من أنواع الأفايه.

(٥) نوليني: أعطيني «يشك في نسبة هذا البيت إلى امرىء القيس».

(٦) مهفهفة: خفيفة اللحم ليست برهلة ولا ضخمة البطن. المفاضة: المسترخية البطن. الترائب: موضع القلادة من الصدر. كالسنجنجل: كالمرآة.

تـصُــدُّ وتُبــدي عـن أسيــل وتـتـقـي
بنـاظـرة من وحش وجْـرَة مـطفــل [1]

وجيــدٍ كجيــد الــرّئم لـيس بفــاحش
إذا هــي نَـصَــتْــه ولا بـمــعــطّل [2]

وفــرع يـزيـنُ المتـن أســودَ فـاحـم
أثيث كـقنـو النَخْـلة المتعـثكـل [3]

غــدائــره مستشــــزرات إلـى الــعــلا
تضــلُّ المـدارَى في مُثَنّى ومـرسـل [4]

وكـشــح لـطيف كـالجـديـل مُخصّـر
وســاق كـأنبــوب السّقيّ المـذلـل [5]

وتُضْحي فتيتُ المســك فـوق فـراشهـا
نؤوم الضُحى لم تنتــطق عن تفضُّــل [6]

(١) تصد : تعرض. الصد: الصرف والدفع. تبدي: تظهر. أسيل: خد طويل.
المطفل: التي لها طفل.

(٢) الرئم : الظبي الخالص البياض. الفاحش: ما تجاوز القدر في كل شيء.
نصته: رفعته. معطل: غير معطل عن الحلي.

(٣) الفرع: الشعر التام. فاحم: شديد السواد. الأثيث: الكثير. المتعثكل:
النخلة التي خرجت عثاكيلها أي قنوانها.

(٤) الغدائر: جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر. مستشزرات: مرتفعات.

(٥) الكشح اللطيف: الخصر النحيل الحسن. مخصر: دقيق الوسط. السقي
المذلل: النخل المسقي المذلل بالارواء.

(٦) تضحي: الإضحاء مصادفة الضحى. فتيت المسك: ما تفتت منه.
لم تنتطق: لم تشد نطاقاً للعمل. عن تفضل: عن ثوب النوم.

وتعطو برخْص غير شثن كأنّه
أساريعُ ظبي أو مساويك أسحل[1]
كبِكْر المقاناة البياض بصُفرةٍ
غذاها نمير الماء غيرُ المحلّل[2]
تُضيءُ الظّلامَ بالعشاء كأنّها
مَنارة مُمْسي راهب متبتّل[3]
إلى مثلها يرنُو الحليم صَبَابةً
إذا ما اسبكرّتْ بين درعٍ ومجول[4]
تسلّت عَمَايات الرُّجال عن الصّبا
وليس فؤادي عن هواها بمنْسل[5]
ألاَ رُبَّ خصْم فيك ألوى رددته
نَصيحٍ على تَعْذاله غير مؤتل[6]

(١) تعطو: تتناول. الرخص: البنان الناعم. الشثن: الغليظ. أسحل: شجر تتخذ من فروعه مساويك كالأراك.

(٢) كبكر: كبيضة النعامة أول ما تبيض. المقاناة: التي خالط بياضها صفرة وحمرة.

(٣) المنارة: يقصد بها سراج الراهب.

(٤) يرنو: ينظر. اسبكرت: طالت وامتدت. درع: قميص المرأة.

المجول: ثوب الجارية الصغيرة.

(٥) تسلت: من السلو أي الزول. العماية: الجهالة. بمنسل: تارك.

(٦) خصم ألوى: شديد الخصومة. العذل: اللوم. مؤتل: مقصر.

وليـــلٍ كمـوج البحـر أرخى ســدولــه
عـليَّ بـأنْـواعِ الهُمُـوم ليـبتـلي[1]
فقُـلْتُ لـه لـمَّـا تـمـطَّى بـصلبـه
وأرْدَفَ أعــجـازاً ونـاء بـكــلْكَـلِ[2]
ألا أيهـا الليـلُ الـطويـلُ ألا انـجلي
بصبُـح وما الإصبْـاحُ فيك بـأمثـل[3]
فيـا لـك من ليْـلٍ كـأنَّ نجُـومَـه
بكـلِّ مُغـارِ الفتـل شُدّت بيـذبـل[4]
كـأنَّ الـثريّـا عُلِّقتْ في مَصَـابهـا
بـأمْـراسِ كتّـان إلى صُم جنـدل[5]
وقِـرْبـةِ أقْـوامٍ جَـعَلت عِصَـامَـهـا
على كـاهـل منِّي ذَلُـول مـرحّـل[6]
ووادٍ كـجـوف العيـر قفْـر قَـطَعْتـه
بـه الذئبُ يعـوي كـالخليـع المعيّل[7]

(١) سدوله: ستوره. الإرخاء: إرسال الستر وغيره. الابتلاء: الاختبار.

(٢) تمطى بصلبه: تمدد بجسمه أو بصلبه، وهو ظهره. وأردف أعجازاً: تابع أواخره بأوائله. ناء بكلكل: حط بصدره.

(٣) بأمثل: بأفضل، أي ليس الإصباح فيك بأفضل من الإمساء.

(٤) مغار الفتل: الحبل المفتول جداً. يذبل: اسم جبل.

(٥) الثريا: نجم في السماء. مصابها: مواضعها. صم جندل: حجارة صمّاء.

(٦) وقربة أقوام: ورب قربة أقوام. القربة: وعاء من الجلد يحمل فيها الماء، عصامها: حبالها. ذلول: معتادة على الحمل.

(٧) العير: الحمار الوحشي. الخليع المعيل: هو الذي تبرأ منه قومه ونفوه منهم، أي أنه ذو عيال ومقتر.

فـقُـلْـتُ لــه لـمَّــا عــوى إنَّ شــأنَـنـا
قليــلُ الغنى إن كـنـتَ لـمَّــا تمــوّل[1]

كــلانــا إذا مــا نــالَ شَــيْئـاً أفــاتَــهُ
ومن يحتـرثْ حـرْثي وحـرثك يهـزل[2]

وقَــدْ أغـتـدي والــطيــرُ في وكنَــاتهــا
بمُنْجــرِدٍ قَـيْـدِ الأوابــد هَـيْـكَــل[3]

مِكَــرٌ مِفَــرٌ، مُـقْبِـلٍ مُــدبِــرٍ معــاً
كجُلمودِ صَخْرٍ حَـطّه السيلُ من عـل[4]

كُمَيْـت يــزِل اللّبْــد عـن حــال متـنـه
كمــا زلّتِ الـصّفــواء بــالـمتـنــزل[5]

على العَقْبِ جيّــاشٍ كــأنّ اهتـزامــه
إذا جـاش فيـه حمْيُــه غلي مـرجــل[6]

---

(١) يقول للذئب: إنني في حالتي هذه وأنت كما أنت كلانا لا يغني عن صاحبه شيئاً.

(٢) أفاته: فوّته على نفسه. من يحرثحرثي وحرثك :من يسع سعيي وسعيك يهزل، أي عاش مهزول العيش.

(٣) أغتدي: أخرج مع تباشير النهار. وكناتها: أوكارها. المنجرد: الفرس القصير الشعر. الأوابد: الوحوش. الهيكل: يعني الفرس القوي.

(٤) جلمود: الصخر الأصم. من عل: من مكان عال.

(٥) كميت: لون بين الحمرة والسواد. الصفواء: الصخرة الملساء. المتنزل: السيل.

(٦) العقب: الجري المتعاقب. اهتزام: صوت الاندفاع. المرجل: القدر.

مِسَحٌ إذا ما السّابحات على الونى
أثرْنَ غُباراً بالكديد المرَكّل[1]
يُزل الغلامُ الخفّ عن صهواته
ويلوي بأثواب العنيف المثقل
درير كخذروف الوليد أمرّهُ
تقَلُّبُ كفّيه بخيط مُوَصَّل[2]
له أيطلا ظبي وساقا نعامةٍ
وإرخاء سرحان وتقريبُ تتفل[3]
ضليع إذا ما استدبرته سدّ فرجه
بضاف فويقَ الأرض ليس بأعزل[4]
كأنّ سرَاتَه لدى البيت قائماً
مَداكُ عَروس أو صلاية حنظل[5]

---

(١) السابحات: الخيل تجري كأنها تسبح. الونى: الإعياء والتعب. الكديد: الأرض الصلبة. المركل: الذي داسته الخيل وركلته.

(٢) الدرير: من دَرَّ، يقال درت الناقة اللبن، الدرير هنا بمعنى الدار. خذروف: لعبة من لعب الأطفال. الوليد: الصبي.

(٣) الأيطل: الخاصرة. الإرخاء: ضرب من عدو الذئب. السرحان: الذئب. تتفل: ولد الذئب.

(٤) ضليع: قوي الأضلاع. استدبرته: نظرت إليه من الخلف. سد فرجه: رأيت ذنبه الطويل قد سدّ ما بين الفخذين.

(٥) سراته: أعلى ظهره. مداك عروس: حجر يسحق عليه الطيب للعروس. صلاية: حجر يدق عليه حب الحنظل.

فَـعَـنَّ لَـنـا سِـرْبٌ كـأنّ نِـعـاجَـهُ
عــذارى دوار فــي مــلاء مُـذيّـل[1]
فـأدبــرنَ كــالجـزْعِ المفصَّــل بينَـه
بجيـد معم في العشيـرة مُخـول[2]
فـألـحقَـنـا بـالـهـاديـاتِ ودونـه
جـواحـرهـا في صـرّة لم تُـزَيّـل[3]
فـعـادى عِـدَاء بـيـن ثـور ونـعـجـة
دراكـاً ولم ينْضـح بمـاءٍ فيغسـل[4]
فـظلّ طُهـاةُ الحـي من بين مُنْضـح
صَفيف شِـواء أو قـديـرٍ معجّـل[5]
ورُحْـنـا وراحَ الـطّرْف يقـصـر دونــه
متى مـا تـرقّ العيـنُ فيـه تـسهـل[6]

---

(١) عَنَّ: عرض. السرب: قطيع البقر الوحشي. النعاج: البقر الوحشي. الملاء المذيل: الثياب الطويلة الذيل.

(٢) أدبر: الإدبار نقيض الإقبال. الجزع: الخرز اليماني. الجيد: العنق. المخول: الكريم الأخوال.

(٣) الهاديات: طلائع الوحوش. الجواحر المتخلفات. الصرة: الصيحة. لم تزيل: لم تفرق.

(٤) عادى: والى الجري. دراكاً: سريعاً. لم ينضح: لم يعرق.

(٥) الطهاة: الطباخون. صفيف شواء: شرائح لحم مشوي. أو قدير: مطبوخ في القدر.

(٦) الطرف: النظر. القصور: العجز. الترقي: الارتقاء. تسفل: تنظر إلى أسافله.

كـأنَّ دمـاءَ الـهـاديـات بـنَـحْـرِه
عُـصَـارة حـنّـاء بشَيْـب مُـرجـل[1]
وبـاتَ عـليـه سَـرْجُـهُ ولـجـامُـهُ
وبـاتَ بعيني قـائمـاً غير مُـرْسـل[2]
أصـاح تَـرى بَـرْقـاً أريـك وميضـه
كـلمـع اليـديـن في حَـبِـي مـكـلّل[3]
يضـيءُ سنـاه أو مـصـابيـح راهـب
أهـان السليط في الـذُبـال المفتّـل[4]
قعـدتُ وأصحـابي لـه بيـن ضـارج
وبين العُـذيب بُـعْـدَ مـا متـأمـلي[5]
عـلا قَـطَـنـاً بـالشّيم أيمنُ صـوبـه
وأيْـسـره عـلى الـسّـتـار فـيـذْبُـل[6]

(١) الهاديات: أوائل البقر الوحشية التي صادها. عصارة حنّاء: يعني أن ماء الحناء في الشعر الشائب كالدم في نحره.

(٢) بات بعيني: بحيث أراه مسرجاً ملجماً، قائماً بين يدي غير مرسل إلى المرعى.

(٣) أصاح: يا صاحبي. أريك وميضه: أبصرك لمعانه. حبي مكلل: سحاب متراكم.

(٤) سناه: ضوؤه. مصابيح راهب: سرجه وقناديله. أهان السليط: أكثر من الزيت. الذبالة: الفتيلة.

(٥) قعدت وأصحابي: لهذا البرق أنظر إليه. ضارج: ماء بأرض طيء. العذيب: ماء قريب منه.

(٦) قطن والستار ويذبل: أسماء جبال. بالشيم: بالنظر إلى البرق. صوبه: مطره.

وأضحى يَسُحّ الماء عن كل فَيْقة
يكُبُّ على الأذقان دَوْحَ الكنهبل[1]

كأنّ مكاكيَّ الجواء غُدَيَّة
صُبحْنَ سُلافاً من رحيق مفلفل[2]

ومَرَّ على القُنّان مِنْ نفيانه
فأنزل منه العُصم من كلِّ موئل[3]

وتَيماءُ لَمْ يَتْرك بها جذع نخلة
ولا أُطُماً إلاّ مشيداً بجندل[4]

كأن أباناً في أفانين وَدْقِه
كبيرُ أُناس في بجادٍ مزَمل[5]

كأنّ ذرى رأس المجيمر غُدْوة
من السَّيْل والأغثاء فلكة مغزل[6]

---

(١) يسح: يصب. الذقن: مجتمع اللحيتين. الدوحة: الشجرة العظيمة. الكنهبل: ضرب من شجر البادية.

(٢) المكاكي: نوع من الطير. الجواء: موضع بنجد. سلاف الرحيق: عصارة الخمر الصافية.

(٣) مر على القنان: مرّ هذا السحاب على جبل القنان في بلاد بني أسد بن خزيمة. من نفيانه: ما نفى من قطره. العصم: الأوعال. من كل موئل: من أماكنها الشامخة الحصينة المعتصمة بها في أعالي الجبال.

(٤) تيماء: مدينة في الحجاز. الأطم: الحصن. المشيد بجندل: مبني بالحجارة

(٥) أبان: اسم جبل: البجاد: الكساء المخطط. مزمل: ملتف.

(٦) المجيمر: جبل. الأغثاء: ما يحمله السيل من بقايا الأشياء.

كـأنّ سِبـاعـاً فيـه غَـرْقى عشِيَّـة
بـأرجـائـه القُصْـوى أنـابيش عنصـل[1]
وألـقَى بِـصـحْـراء الـغـبيطِ بـعـاعَـهُ
نُـزُول اليماني ذي العيـاب المحمل[2]

تعتبـر معلقة امرىء القيس من الملعقات المهمـة في تاريخنا الأدبي. وهي نموذج صادق لفترة العصر الجـاهلي الذي نشأت فيه المعلقات، والتي اعتبرت وثيقة صادقة تشتمل كل وجوه الحياة الثقافية فيها والاجتماعية، الفكرية والفنية. وبما أن الشعر «كان ديوان العرب والمنظوم من كلامها والمقيّد لأيامها والشاهد على حكامها». فإنه بالنسبة لنـا صفحة معـرفة، نحـاول من خلالهـا التعرف على فكر قوم أسسوا وبنوا هذا التراث. والحكم على ما وصلنا لا يكون إلاّ بالرجـوع إلى البيئة والـزمن الذي عـاش فيه الشاعر.

والحقيقة إن دراسة المعلقة، معلقة ـ امريء القيس ـ، بشكل منفرد كان واجباً أدبياً، لأننا رأينا فيها صورة عامة عن ملامح العصر والبيئـة، وعن الصفات الفنيـة والمعنويـة التي تتحكم بـالشعـر الجاهلي. وشيء آخر دفعنا لهذا العمل، هو أن المعلـقة تشـمـل

(١) أنـابيش عنصل: أصول العنصل، وهو البصل البري.
(٢) صحراء الغبـيط: الحزن من الأرض. بعاعه: ثقله. ذي العيـاب: صاحب الأعدال المملوءة ثياباً وبزاً.

معظم الأغراض الشعرية التي أتينا عليها في دراستنا، وكذلك تشبه إلى حد كبير معظم ما وصلنا من نتاج الشعراء الجاهليين. لهذه الأسباب أفردنا الجزء الأخير من الدراسة للمعلقة، لنرى النظام والمعاني والموضوعات التي حملتها، ولو بشكل موجز.

وأول ما يلفت نظر الباحث في الشعر الجاهلي، نظام القصيدة الذي أصبح سُنّة وقانوناً لدى معظم الشعراء الجاهليين من:

١ ـ **الوقوف على الأطلال**: سِمة من سمات الشعر الجاهلي، وتقليداً يندر من يشذ عنه. بل إنه فرض نفسه على العصر العباسي حيث لا دمن ولا أطلال. وقد حملت لنا الروايات أن امرأ القيس هو «أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى، وذكر الديار والحبيبة». ويبرز المقطع الطللي في بداية القصيدة، إذ يذكر الأماكن التي ارتادتها الحبيبة، وأصبحت في اللحظة ملعباً للريح، وفسحة للذكريات. ويبدأ وكأنّ عاصفة من الوجد اجتاحت مسام حياته، طالباً من صديقين معه بالوقوف، ليذرف الدمع على تلك الديار الخالية إلاّ من بعض الآثار المتروكة للريح وللزمن.

٢ ـ **ذكر الحبيبة**: وقد رأينا أنّ الحبيبة عنده هي أشبه بحلم، خاصة في فترة حياته الأولى، التي عاش فيها الملذات واللهو، وعدم المسؤولية. وربما تكون أسماء الحبيبات الكثيرات عنده، صفة لموصوف واحد، كي يبعد الأنظار عن المعنى المقصود، خوفاً من غضب العشيرة.

٣ ـ الغزل: إذ تناول كل جميل في المرأة، وساقه إلينا بشكل يوحي بأنه ملتهب الشعور تجاه حبيبته؛ ويمثل هذا حادثة دارة جلجل التي أتينا على ذكرها في ثنايا البحث والدراسة.

٤ ـ السرد القصصي: وتبرز هذه السمة في مجمل المعلقة، سواء في وصف الطلول، أو في ذكر اليوم الصالح، أو في دخول الشاعر خدر عنيزة، أو في مغامراته الغرامية التي لا حد لها ولا حصر. ويعبر عنه بشكل حوار منظم «قفا نبك.. يقولون لا تهلك.. فقالت: لك الويلات.. تقول وقد مال الغبيط... أفاطم مهلاً.. فقالت: عين الله».

٥ ـ التصوير المادي: يقال إن الشاعر ابن بيئته. وهذا صحيح، خاصة إذا تمثلنا الشعر الجاهلي. فالبيئة المادية القاسية كانت تفرض نفسها بكل جزئياتها على الشاعر. وسرعة الحركة والتنقل، وكثرة الحروب والأيام والغزوات، طبعت الشاعر بتلك الصفة المادية، وأبعدته عن الشمول والتفكير بالكليات العامة. فكانت أشعاره صورة أمينة للواقع المعاش ولذا كان التصوير المادي هو الغالب على الشعر الجاهلي. ويبرز في المعلقة بوصف الأطلال التي لم يعف رسمها تحديد الأمكنة بدقة، وقوف الشاعر أمام الأشجار كناقف الحنظل، دموع العين وقد فاضت على النحر حتى بللت محمل السيف، العذارى المرتميات في اللحم أو الشحم.. الخ..

٦ ـ الوصف:

أ ـ الليل.

ب ـ الرحلة والأمكنة التي مرّ بها.

ج ـ الحيوانات البرية.

د ـ الصيد.

هـ ـ الحصان، أو الفرس، أو الناقة.

و ـ نهاية الرحلة وحلقات الشواء.

٧ ـ الدقة في استعمال المفردات: لقد أتى بالمفردات الدالة المعبرة. وإن لفظ ـ نسجتها ـ خير ما يمكن أن يعبر عن حركة الريح التي تهب تارة من الشمال إلى الجنوب وأخرى من الجنوب إلى الشمال. وكذلك لفظة ـ يرتمين ـ في قوله «فظل العذارى يرتمين بلحمها» تدل على مدى غبطة الفتيات وانصرافهن إلى الطعام وإلى مهاداته بينهن. وقد أخذنا هاتين اللفظتين لتبيان الدقة في استعمال المفردات كمثل فقط، مع العلم أن كل ما استعمل دال، وواضح.

٨ ـ كثرة التشابيه المادية: فشحم الناقة كهدّاب الدمقس المفتل. وترائب الحبيبة كالسجنجل، وضياء وجهها كنور مصباح الراهب، والحصان كجلمود صخر حطه السيل من عل، وثغرها كالاقحوان. وكل هذه التشابيه حسية ومادية، مأخوذة من بيئة ألقت بكلكلها على فن القول عند الشاعر، وجعلته يصورها بأبهى ما يكون.

ومثل ذلك نرى الاستعارات، والكنايات. فالاستعارة المادية بـارزة في قولـه مثلاً حينمـا استعـار ـ الهمين ـ لعيني الحبيبـة. والأعشـار للقلب المنكسر. والتكنيـة نبؤوم الضحى عن غناهـا وتنعمها.

والملاحظ أن امرأ القيس لم يكن يسرف في الصناعـة. ولم يتكلف المعـاني ولا الصور ولا التعـابير. وإنمـا كانت الـطبيعة والسليقة والواقع رواداً له وميزة في شعره. أضف إلى ذلك السهولة في نظمه وقوله وإنشاده. وإذا كان هنـالك من صعـوبة في فهم بعض الأشعار فمرد ذلك إلى الألفاظ التي كانت شائعة ومفهومة في العصر الجاهلي، ولم تعد اليوم متداولة.

٩ ـ تفكك القصيدة: أو انعدام الوحدة: فهي لوحات متعددة الصور والموضوعات، وكل واحدة مستقلة بمعناها عن الأخرى، أما التفكك في الأبيات واضح وجلي إذ نستطيع التقديم والتأخير في الأبيات من دون أن يتغير المعنى، ومن دون أن يحدث أي خلل في بنـاء القصيـدة. ويُفسـرُ ذلـك بضعف الثقـافـة عنـد الجاهليين، وشيوع الفطرة والبداهة فـي جميع مجالات الحياة عندهم. والمعروف أن البدوي في تلك المرحلة لم يعرف البناء، والحياة الاجتماعية، والاستقرار النفسي والاجتماعي والعمراني، لذلك لم يستطع أن يعطي ويبني قصيدة متماسكة.

في هـذه المعلقة نقف أمـام صورة ـ أو صـور ـ لبيئة الحيـاة

الجاهلية فيها الدلالة على حياة بدوية سريعة الانتقال، لا تعرف الاستقرار لحظة. ويتم الترحال في صحراء قاسية واسعة الأطراف والمرامي، مهجورة ترتع فيها غزلان وظباء ووحوش، ويمرح فيها شذاذ وقتلة وصعاليك. فحياته، انتقال، وخوف دائمين.

وكلمة أخيرة هي أن امرأ القيس سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها حازت الرضا والاستحسان. وخط للشعراء سُنّة ساروا من بعده عليها منها: الوقوف على الأطلال، والبكاء على الديار، والآثار الباقية، والغزل الرقيق، والنسيب اللطيف، والتشبيه الجميل، والكناية الحسنة والوصف المبدع. مما جعله أجود الشعراء فيما طرقه من أبواب وابتكره من سنن، وابتدعه من المعاني.

نماذج من شعر امرىء القيس

قال امرؤ القيس يصف الوحش وصيده له :

غَشيتُ دِيارَ الحيِّ بالبكراتِ
فعارمةَ فَبُرْقَةِ العيَّرات[1]

فَغَوْل فحلِّيت فأكناف مَنْعِج
إلى عاقل فالجُبِّ ذي الأمرات[2]

أرَن على حُقْب حيال طروقه
كَذوْد الأجير الأربع الأشرات[3]

---

(١) غشيت: نزلت. البكرات: جمع بكرة، وهي مياه لبني ذويبة من الضباب عندها جبال عالية يقال لها البكرات. عارمة: مياه لبني تميم. العيرات: الحمر الوحشية.

(٢) غول: ماء للضباب بجوف طخفة. حليت: معدن عند جبال ضرية فيه ذهب. الأمرات: العلامات.

(٣) أرن: نعق. الحقب: الأتن الوحشية. الأشرات: القويات، النشطات.

عنيف كتجميع الضرائر فاحش
شتيم كذَلْق الزُّجِّ ذي ذمرات(١)
ويأكُلْنَ بُهْمى جعدة حبشية
ويشربن برد الماء في السبرات(٢)
فأوردها ماء قليلاً أنيسُهُ
يُحاذرنَ عَمْراً صاحبَ القُتُرات(٣)
تَلتُّ الحصى لتًّا بسُمْر رزينة
موازن لا كُزم ولا معرات(٤)
ويرخين أذناباً كأن فروعها
عُرَى خلل مَشْهورة ضفرات(٥)
وعَنْس كألواح الإران نسأتُها
على لاحب كالبرد ذي الحبرات(٦)

(١) فاحش: متجاوز الحد في عنفه. شتيم: كريه المنظر. ذو ذمرات: صاحب زجر بشدة.

(٢) البهمى: نبت. جعدة: ندية. حبشية: شديدة الخضرة. السبرات: الغدوات الباردة.

(٣) عمرو: هو ابن الشيخ الثعلي، وكان من أرمى العرب. القترات: جمع قترة: وهو بيت الصائد الذي يختفي فيه لئلا يراه الوحش فينفر منه.

(٤) تلت الحصى لتاً: تسحقه وتخلطه. السمر: يريد بها الحوافر. رزينة: ثقيلة. لاكزم: غير قصار. ولا معرات: ولا ممروط شعورهن.

(٥) يرخين: يسبلن. ضفرات: مجدولات.

(٦) عنس: ناقة قوية. الإران: خشب صلب. نسأتها: زجرتها. اللاحب:الطريق. البرد ذو الحبرات: الثياب اليمنية الموشاة.

فغـادرتُـهـا مِـنْ بَـعْـد بَـدْن رويّـة
تغـالى على عُـوج لهـا كـدنـات [1]
وأبـيض كـالـمخـراق بـلّيـتُ حَـدّهُ
وهَـبْـتَـهُ فـي السّـاق والـقَـصَـرات [2]

وقال امرؤ القيس وهو بعيد عن أهله ودياره:

ألا أبـلغْ بـنـي حُـجـر بـن عَـمْـرو
وأبْـلغْ ذلـك الـحـيّ الـجـديـدا [3]
بـأنّـي قـد هَـلَكْـتُ بـأرضِ قَـوْم
بـعـيـداً عـن ديـاركُـمُ بـعـيـدا [4]
ولـو أنّـي هَـلَكْـتُ بـأرضِ قـومي
لـقـلتُ الـمـوت حـقٌ لا خُـلُودا [5]
أعـالـج مُـلْكَ قَـيْـصَـرَ كـلَّ يـوم
وأجـدرُ بـالـمـنـيّـةِ أن تَـقُـودا [6]

(١) البدن: السمنة. روية: هزيلة. العوج: يريد بها قوائمها. كدنات: غلاظ قوية.

(٢) أبيض: السيف. المخراق: المنديل. القصرات: الأعناق.

(٣) بنو حجر: قوم امريء القيس ورهطه الأدنين. الجديد: المقطوع، ويروى الحديد، وهو القوي الشديد.

(٤) هلكت: يريد هنا أوشكت على الهلاك.

(٥) يعني لوكان هلاكه بين أهله لآمن بأن الموت حق، وان لا خلود في الحياة. على أنه لابقاء ولا خلود سواء أكان بين أهله أم كان بعيداً عنهم.

(٦) أعالج: أحاول وأطلب. أجدر: أولى. أن تقود: أن تذهب بي الى حيث المصير الذي صار إليه آبائي وأجدادي.

بـأرض الـروم لا نـسـبٌ قـريـبٌ
ولا شَـافٍ فيسْند أو يَـعُـودا[1]
ولـو صَـادَفْـتَـهُـنّ عـلى أُسَيْسٍ
وحَـاقَـةُ إذْ وَرَدْنَ بـنَـا وُرُودا[2]
عـلى قُـلُصٍ تَـظَلُّ مُـقـلّدات
أزمـتُـهُـنّ مـا يَـعـدقـنَ عُـودا[3]

وقال امرؤ القيس في وصف الغيث:

ديـمَـةٌ هَـطْلاء فـيـهـا وَطَـفٌ
طـبـق الأرض تـجـري وتـدُرْ[4]
تُـخْـرِجُ الـوَدَّ إذا مـا أشـحَـذَتْ
وتُـواريـه إذا مـا تـشـتـكـرْ[5]
وتَـرَى الـضَّـبَّ خَـفِـيـفـاً مـاهـراً
ثـانـيـاً بُـرْثُـنَـه مـا يَـنْـعَـفِـرْ[6]

---

(١) ويروى: بأرض الشام. يعني لا قريب له يساعده في شأنه وأحواله. ولا طبيب يعوده ويشفيه مما ألم به.

(٢) ولو صادفتهن: يريد النوق. أسيس وحاقة: موضعان بالشام.

(٣) القلص: جمع قلوص، وهي الناقة الشابة. ما يعدقن: ما يجمعن.

(٤) الديمة: المطر. الهطلاء: الغزيرة. وطف: استرخاء. طبق الأرض: تعم الأرض. تجري: تقصد. تدر: تصب الماء.

(٥) أشحذت: كفت وأقلعت. تشتكر: تحتفل بالماء، ويكثر فيها.

(٦) ماهر: حاذق بالسباحة. برثنه، وينعفر: يلصق بالتراب.

وتـرى الـشّـجْـراءَ فـي رَيِّـقِـهَـا
كَـرؤوسٍ قُـطّعتْ فيـهـا الخـمـرْ(١)
سـاعـة ثـم انـتـحـاهـا وابـلٌ
سـاقطُ الأكـنـاف واه مُـنْـهـمـرْ(٢)
راح تـمـريـه الـصـبـا ثـم انـتـحـى
فيـه شُؤبـوب جـنـوب مـنـفـجـر(٣)
ثجَّ حـتـى ضـاق عَـنْ آذيِّـه
عَـــرض خيـم فـخـفـافُ فَيُسُـرْ(٤)
قَـدْ غـدا يَـحْـمـلُني فـي أنـفـه
لاحق الأيـطل محبـوكٌ مـمـرْ(٥)

وقال امرؤ القيس حين رأى امرأة تدفن إلى سفح عسيب الذي مات عنده:

أجـارَتَـنـا إنّ الـخـطـوبَ تـنـوبُ
وإني مقيمٌ مـا أقـام عَـسـيـبُ(٦)

(١) الشجراء: الغابة، الشجر الملتف. ريقها: استهلال المطر.

(٢) انتحاها: اعتمدها وقصدها. الوابل: المطر الشديد. الأكناف: النواحي. واه: مسترخ.

(٣) الشؤبوب: مطر ريح الجنوب. منفجر: سائل بغزارة.

(٤) ثجّ: صبّ. آذيه: موجه. عرض: سعة. خيم وخفاف ويسر: أسماء أماكن.

(٥) لاحق الأيطل: ضامر الخصر، يعني فرسه. محبوك: قوي. ممر: معتدل الخلق، مفتول العضل.

(٦) ذكر السيوطي أنه رأى في كتاب مقاتل الفرسان لأبي عبيد، أن صخر بن عمرو أخ الخنساء لما أدركه الموت قال: =

أجـارتـنـا إنّـا غـريـبـان هَـهُـنـا
وكُـل غَـريـبٍ لـلغـريـب نَـسـيـبُ[1]
فـإن تَصليـنَـا فـالـقَـرابَـةُ بـيـنـنـا
وإنْ تصْـرمينـا فـالقـريب غـريبُ
أجـارتـنـا مـا فـاتَ لـيس يـؤوبُ
ومـا هـوآتٍ في الـزمـان قـريبُ[2]
ولـيس غـريـبـاً مـن تـنـاءت ديَـارُهُ
ولـكن مَـنْ وارى الـترابَ غـريـبُ[3]

وقال امرؤ القيس يتوجع من مرضه بأرض الروم :

ألمّـا على الـربـع القـديم بِسَعْسَعَـا
كـأنّـي أُنـادي أو أُكَـلّم أخـرسـا[4]

= أجـارتـنـا إن الـخـطـوب تـنـوب
عـلـيـنـا وكـل الـمـخـطئين مـصـيـب
أجـارتـنـا لـسـت الـغـداة بـظاعـن
وإنـي مـقـيـم مـا أقـام عـسـيـب

ومات ودفن بقرب ـ عسيب ـ قال فلعلهما تواردا، قلت: إذا صح أن صخراً دفن بسفح عسيب، فلعله تمثل بقول امرىء القيس مع بعض تغيير في الألفاظ. وعسيب، اسم جبل قريب من أنقرة. والذي نعرفه أن صخراً مات هناك.

(١) يعني أن الغريب نسيب للغريب لأن الغربة تجمع بينهما.

(٢) ليس يؤوب: لن يعود.

(٣) تناءت: تباعدت. ولكن من يموت ويدفن تحت التراب هو الغريب.

(٤) ألمّا: ميلا وانزلا. عسعس: موضع بالبادية.

فلو أنّ أهــل الــدار فيهــا كعهــدنــا
وجَــدْتُ مقيـلاً عنْــدهم ومُعــرَّسـا (١)

فــلا تــنكــرونــي إنــنــي أنــا ذاكُــمُ
ليــاليَ حـلّ الحيُّ غَــوْلا فــالْعسـا(٢)

تــأوبنــي دائــي الـقــديــم فَغَــلَّسَــا
أحــاذرُ أنْ يــرتــدَّ دائي فــأنكســا(٣)

فــإمــا تــرينــي لا أُغــمضُ ســاعــةً
مـن الليــل إلاّ أنْ أُكــب فــأنــعسـا(٤)

فــيــا رُبَّ مــكــروب كــررتُ وراءه
وطــاعنتُ عنـه الخيــلَ حتى تنفسـا(٥)

ويــا ربَّ يــوم قَــدْ أروحُ مُــرَجّــلاً
حبيبــاً إلى البيض الكـواعب أملسـا(٦)

يُــرَعْــنَ إلى صــوتــي إذا مــا سَمعنَــهُ
كمـا تـرعـوي عيطٌ إلى صوت أعيسـا(٧)

(١) المقيل: المكان الذي تنزل فيه وقت القائلة في منتصف النهار. المعرس: ضد المقيل.
(٢) غول: جبل في حضنه واد فيه نخيل وعيون للضباب. العس: جبل في ديار بني عامر.
(٣) تأوبني: أتاني. أحاذر: أخشى، من الحذر: الخشية.
(٤) أكب: يأخذني شبه نوم فيحني رأسي فأنعس.
(٥) مكروب: الواقع في كربة لا يقوى فيها على الخلاص. كررت: حملت واندفعت.
(٦) مرجلاً: مسرح الشعر. أملس: لم ينبت عارضاه.
(٧) يرعن: يخفن. العيط: جمع عيطاء وهي الناقة هنا.

أُراهنَّ لا يَحْبَبْنَ من قلّ مالُه
ولا من رأين الشيبَ فيه وقُوَّسا[1]
فلو أنها نفسٌ تموتُ جميعةً
ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا[2]
ولو أنّ نوماً يشترى لاشتريتهُ
قليلاً كتغميض القطا حيثُ عرّسا[3]
وبُدِّلتُ قَرْحاً دامياً بعْدَ صحةٍ
فيالك من نُعمى تحولنَ أبؤسا[4]

كان بين امريء القيس وبين سبيع بن عوف أحد بني طهية وشيجة قربى، فنزل عليه سبيع، وسأله فلم يعطه شيئاً، فذمه سبيع، ورد عليهامرؤ القيس مفتخراً.

أبلغْ سُبيْعاً إنْ عرضتَ رسالةً
إنّي كهمِّك إنْ عَشَوتُ أُحام[1]

---

(١) أراهن: يعني النساء. قوس: انحنى ظهره لكبر سنه.
(٢) فلو أنهانفس: يريدنفسه. تموت جميعة: مرة واحدة.
(٣) القطا لا ينام إلاّ غراراً. لذلك قال الشاعر:
ولولا المزعجات من الليالي
لما ترك القطا طيب المنام
(٤) وبدلت قرحاً: ألبست نزفاً وجروحاً نتيجة ما ألبسه ملك الروم. والظاهر أن تلك الحلة المسمومة التي لبسها، كانت السبب في مرضه الذي يشبه الجدري.
(٥) هو سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة الطهوي. كهمك: كحالك. عشوت: نظرت نظراً ضعيفاً. أحام: أدافع.

فـاقصـرْ إليـكَ من الـوعيـد فـإنني
مـمَّـا أُلاقـي لا أشُـد جِـزامـي [1]
و أنـازلُ الـبـطلَ الكـريـه نِـزالُـهُ
وإذا أُنـاضـلُ لا تـطيشُ سهـامي [2]

وأنـا المُنبِّـه بَعْـدَ مـا قَـدْ نَـوِمُـوا
وأنـا المعـالِنُ صفحـةَ النُّـوّام [3]
وأنـا الـذي عـرفـتْ مَعَدٌّ فَـضْله
ونَـشَـدْتُ عنْ حـجـر ابن أمٌ قـطام [4].

خـالي ابنُ كبشـةَ قـد علِمْتَ مكانـه
وأبـو يـزيـدَ ورهْـطُه أعـمـامي [5]
وإذْ أذيـتُ بـبـلدةٍ ودّعْـتُـهـا
ولا أقـيـمُ بـغـيـر دارِ مُـقَـامِ [6]

---

(١) فاقصر: فامسك عليك من وعيدك. لا أشد حزامي: لست في حاجة إلى أن أتهيأ وأستعد لنزال مثلك.

(٢) أنازل البطل: أقاتل الشجاع. أناضل: أرمي بالنبال. لا تطيش سهامي: لا تخطيء الهدف.

(٣) أنا المنبه: المزعج أعدائي وهم في نومهم. المعالن: الذي يقابل أعداءه وجهاً لوجه.

(٤) معد: قبائل العرب من معد بن عدنان. حجر ابن أم قطام: أبوه وهكذا لقبه.

(٥) خالي ابن كبشة: يعني المهلهل بن ربيعة. أبو يزيد: كنية أحد أعمامه وهم كثر.

(٦) يعني إذا نالني أذى في بلدة تركتها إلى غيرها وحرمت على نفسي المقام بها.

وممّا قاله أيضاً:

لـمنْ طَـلَلٌ بيـن الـجُـديـةِ والـجبـلْ
محـل قديمُ العهـدِ طالتْ بـه الطِّيـل[1]
عَـفَـا غيـر مُـرتـادٍ ومـرَّ كـسـرحب
ومنخفض طـام تنكّـر واضمحـلْ[2]
وزالتْ صـروف الـدهـر عنـه فـأصبحتْ
على غيـرِ سكـان ومَنْ سَكَنَ ارتحـلْ[3]
تـنـطح بـالأطـلال منـهُ مُجَلْجـل
أحمُّ إذا احمومت سحـائبـه انسجـل[4]
بـريـح وبـرق لاح بيـن سـحـائـب
ورعـد إذا مـا هبَّ هـاتفـه هَـطَلْ[5]
فـأنـبـث فيـه مـن غشـنض وغشنض
وورنـق رنـد والـصـلنـدد والأسـلْ[6]

---

(١) الطلل: الأثر الدارس. الجدية: جبل بنجد طيء. الطيل: الأيام المتطاولة.

(٢) عفا: درس وامحت آثاره. السرحب: الفرس الطويل.

(٣) ارتحل: تحمل إلى أرض ثانية.

(٤) تنطح: يريد أن الرعود تناطحت كما الكباش. أصم: أسود لامتلائه بالمطر. احمومت: اسودت. انسجل: هطل منه الماء بشدة.

(٥) هب هاتفه: ثار رعده. هطل: سح مطره بقوة.

(٦) غشنض وغشنض: ربما يكونان من أسماء النبات. رونق رند: بهاء شجر طيب الريح. الصلندد: نبات. الأسل: نبات تتخذ منه الرماح.

وفيـه القـطا والبـومُ وابن حبـوكـل
وطيـرُ القـطاط والبلنـدد والحجـلْ[1]
وعُـنْـثـلة والـخـيـشـوان وبُـرْسُـلٌ
وفـرخٌ فـريـق والـرَّفـلة والـرُّفـلْ[2]
وفـيـلٌ وأذيـاب وابـنُ خُـويـدر
وغَنْسَلةٌ فيهـا الخفيعـانُ قـد نـزل[3]
وهـامٌ وهـمـهـامٌ وطـالـعُ أنـجُـد
ومُنحبـك الـروقين في سيـره ميـل[4]
فلمـا عـرفتُ الـدّارَ بـعـد تـوحُّمي
تكفكف دمعي فـوق خـدي وانهمـل
فقلت لهـا يـا دار سلمى مـا الـذي
تمتعت لا بُـدِّلـت يـا دار بـالبـدل
لقـد طـال مـا أضحيت قفراً ومـألفاً
ومنتـظراً للحيِّ مـن حـلّ أو رحـل[5]

(١) ابن حبوكل: ليس له مسمى، ولكن أم حبوكل هي الداهية. القطا: طير معروف. البلند: أصل الحناء. الحجل: طير بري يشبه الدجاج.
(٢) العنثلة: الطبع، الخيشوان: لعله ذكر الضباع. برسل: من الوحوش. الرفلة والرفل: الطويل الشعر والذيل.
(٣) أذياب: ذئاب. ابن خويدر: الحمار الوحشي. وغنسلة: اسم مكان. الخفيعان: لعله الجراد.
(٤) الهام: الصدى، وهو ضرب من الطير. وطالع أنجد: لعله حمار الوحش. منحبك الروقين: الثور الوحشي. الروقان: القرنان. ولعله يريد به الوعل.
(٥) مألف: مكان الاجتماع والالفة. حلّ: نزل.

ومـأوى لأبـكـارٍ حِـسـانٍ أوانس
وربَّ فتى كـالليث مشتهـر بـطل [1]
تـعـلّق قـلبـي طـفـلةً عَـرَبـيَّـة
تنعمُ في الـديبـاج والحلي والحـلل [2]
لـهـا مـقـلة لـو نـظرت بـهـا
إلـى راهب قـد صـام لله وابتهـل [3]
لأصبـح مفتـونـاً مُـعَـنّـى بـحُـبِّـهـا
كـأن لم يصم لله يـومـاً ولم يُصَـلْ [4]
ألاّ رُبَّ يـومٍ قـد لـهـوت بـدلِّـهَـا
إذا مـا أبـوهـا ليلة غـاب أو غفـل [5]
فـقـالـتْ لأتـرابٍ لها قَـدْ رَمَـيْـتُـه
فكيف بـه إنْ مـات أو كيف يحتبـلْ [6]
أيخفى لنـا إن كـان في الليـل دَفْـنُـهُ
فقلنَ وهـل يخفى الهـلال إذا أفـل [7]

---

(١) الأوانس: الفتيات الحسان اللاتي يؤنسن بحديثهن. فتى كالليث: يريد به نفسه.

(٢) ويروى: تألف قلبي. طفلة: فتاة ناعمة رخصة الجسد.

(٣) ويروى: لها مقلة دعجا فلو نظرت بها وإلى عابد..

(٤) لهام بها وافتتن بحبها وترك صلاته وصيامه من أجلها.

(٥) الدل: الغنج والدلال.

(٦) الاتراب: جماعة من سن احدة. يحتبل: يقع في الحبالة وهي شرك الصائد.

(٧) أفل: غاب.

قتلتِ الفتى الكنـدي الشاعـر الـذي
تـدانتْ لـه الأشعـار طُـرّاً فيـا لعـل[1]

لـمـه تقتلي المشهـور الفـارس الـذي
يفلّق هـامـات الـرُّجال بـلا وجـلْ[2]

ألا يـا بني كنـدة اقتلوا بـابن عـمِّكم
وإلاَّ فـمـا أنـتـم قـبيـلٌ ولا خـولْ[3]

قتيـلٌ بـوادي الحبِّ من غيـر قـاتـلٍ
ولا ميِّت يُعـزى هـنـاك ولا زمـلْ[4]

فـتـلك الـتـي هـام الـفؤاد بـحبِّـهـا
مـهفـهفـةٌ بيضـاء دريّـةُ الـقُبَـلْ[5]

ولي ولهـا في النـاس قـولٌ وسـمعـةٌ
ولي ولهـا في كـلِّ نـاحيـةٍ مَـثَـلْ[6]

كـأنَّ عـلى أسنـانـهـا بَعْـدَ هَـجْعَـةٍ
سفـرجل أو تفّـاح في القنـد والعسـلْ[7]

(١) تدانت: تقاربت. فيا لعل: دعاء بالنجاة.

(٢) بلا وجل: بلا خوف.

(٣) خول: أتباع وأنصار.

(٤) زمل: رفاق وأصدقاء.

(٥) مهفهفة: لطيفة غير سمينة. درية القبل: كأن مكان التقبيل منها - وهو الثغر - در منظوم.

(٦) يعني شهرتهما بين الناس، وسيرتهما أصبحت كالمثل السائر بين الناس.

(٧) القند: عصير قصب السكر.

حجـازيـة العينين مَكّيـةُ الحشا
عِـراقيّـةُ الأطـرافِ رُوميّـة الكفـلْ[1]
تِهـاميّـةُ الأبْـدانِ عبسيـةُ اللّمى
خُـزاعيّـةُ الأسنـان دُريّـة القبـلْ[2]
وقلتُ لهـا أيُّ القبـائـلِ تنسبي
لعلّي بين النّاس في الشعر كي أسلْ[3]
فـقـالت: أنـا كـنـديـةٌ عَـرَبيّـةٌ
فقلتُ لهـا: حاشـا وكـلاّ وهـلْ وبـلْ[4]
فـقـالت: أنـا رومـيـةٌ عـجـمـيـةٌ
فقلت لها: ورخيز بيـاخوش من قـزلْ[5]
فـلمـا تـلاقـينـا وجَـدْتُ بـنـانـهـا
مخضّبةٌ تحكي الشواعـل بـالشُّعلْ[6]
فـقـبّلتُهـا تـسـعـاً وتـسـعـين قُبْلَةً
وواحـدةً أيضـاً وكنتُ على عـجـلْ[7]
وعـانقـتـهـا حتـى تَـقَـطّع عِـقـدُهـا
وحتى فصُوصُ الطوقِ مِنْ جِيدِها انفصلْ[8]

---

(١) يعني أن مزايا حبيبته تعود إلى نسب حجازي.
(٢) اللمى: حمرة في الشفاه مع ميل إلى السواد.
(٣) (٤) يزيد من النسب العربي لحبيبته.
(٥) رخيز بياخوش: كلمتان روميتان لم يتبين معناهما.
(٦) (٧) (٨) أبيات مفهومة المعنى كلها في وصف الحبيبة.

كـأنّ فصـوصَ الـطوق لمـا تنـاثـرتْ
ضيـاءُ مصـابيح تـطايـرنَ عن شُعَـلْ
وآخـرُ قـولـي مـثـلمـا قُـلْتُ أولاً
لمنْ طَـلَلٌ بيـن الجـديـة والـجبـلْ

فهرس المراجع المعتمدة

١ ـ ديوان امريء القيس ـ جماعة من الأدباء. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٣ .

٢ ـ شرح المعلقات العشر ـ د. مفيد قميحة ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ١٩٨٧ .

٣ ـ د. علي الجندي ـ تاريخ الأدب الجاهلي . ط ١ ـ مكتبة الجامعة العربية ـ بيروت ١٩٦٦ .

٤ ـ د. شوقي ضيف ـ العصر الجاهلي، ط ٦ ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٠ .

٥ ـ محمد بن سلام الجمحي : طبقات الشعراء ط ١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

٦ ـ ابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ـ ط ٢ . تحقيق د. مفيد قميحة ـ دار الكتب العلمية ـ ١٩٨٥ .

٧ ـ لويس شيخو ـ شعراء النصرانية ـ بيروت ١٨٩٠ .

٨ ـ الأغاني ج ٩ . دار الكتب. القاهرة.

٩ ـ الهمذاني ـ صفة جزيرة العرب ـ بريل ١٨٨٤ .
١٠ ـ تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٠ .
١١ ـ تاريخ ابن خلدون ـ المقدمة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٥٦ .
١٢ ـ الجاحظ ـ البيان والتبيين ـ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٤٨ .
١٣ ـ بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي ـ ج ١ ـ ت د. عبد الحليم النجار ـ دار المعارف القاهرة ١٩٥٩ .
١٤ ـ د. علي الجندي ـ مصادر الشعر الجاهلي ج ١ .
١٥ ـ سليم الجندي ، امرؤ القيس ـ دمشق ١٩٣٦ .
١٦ ـ معجم الشعراء للمرزباني ـ نشر كرنو.
١٧ ـ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ـ بولاق ١٢٩٣ هـ.

الفهرس

الفهرس